

صعيده الأفغاني

# الإسلام وَ الْمُرْثَلَةُ





الطبعة الثالثة

١٩٧٠ - ١٣٨٩

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى سائر  
الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين .

وبعد ، فقد كنت لاحظت<sup>(١)</sup> أن الإنسانية تعاني في هذه السنوات ،  
موجة من التصوب للمنصرية ، وتحشد بعض الأمم الراقة حلة منظمة  
يشترك فيها رجال العلم والأدب والإدارة والجيش : لاقامة البراهين على أن  
دمها يمتاز من سائر دماء البشر ، وأن شعيبها بحكم الجبالة وجد ليكون  
أرقى الشعوب وحاكمها ، مسخرين في ذلك أمانة العلم وذمم العلماء .  
ولست بصدّ الدعوة إلى شيء من هذا ، لأنني أرى أرى من الخير  
للإنسانية أن يبقى حرم العلم مصوناً من العبث ، سامياً على جميع  
الاعتبارات ، يُخضع ولا يُخضع ، ولا خير في بجد زائف يروج له  
الباطل ويدعمه البطر التكبر . هذا إلى أننا قد أغنانا الله عن ذلك كله  
بأمرتين اثنتين : أولهما الإسلام الذي قضى على فوارق الدماء وميزات  
المناصر ، فجعل الناس متساوين أحراضاً ، وثانيهما أنه أودع أمّة العرب  
من المزايا العريقة الخالدة ما جعلنا في غنىًّا عن جميع المزاولات والادعاءات ،

---

(١) مجلة العالم الإسلامي البغدادية ، السنة الأولى ص ٩٨

مزايا يفني الدهر ولا يقضى أهلها عجباً .

فحسبي إذاً من خطة : أن أقرر واقعاً وأبين عن حق . فلا أنكفل اختلاق حسنة ولا محو سيئة ، مستندأ على مانبت لدى من حقائق . وسواء عليَّ بعد : أنسبرت إلى شعوبية أم غلو في عروبة ، ما دمت راعياً للعلم أمانته بخلاص ، بريثاً — على قدر طاقتى — من هذه الموجات العصبية الطاغية .

وقد جعلت جل اعتمادى في هذا البحث ، على مصدرين اثنين هما القرآن الكريم والحديث الصحيح ، ضارباً صفحأ عن قصص وأخبار مستففيضة في كتب السير والأدب : هي على كل حال لم تدخل حرم التاريخ ، فهي عند بعض الناس أساطير وعند بعضهم مبالغ فيها . ومن حسن التوفيق أني وجدت صالتى كلها في هذين المصدرين الخالدين . ولن يتطرق شك إلى أنها يصوران أحداث عصرها التصوير الصادق الصحيح ، أجمع على ذلك كل الباحثين على اختلاف أديانهم وأجناسهم ومنازعهم نحو الإسلام .

\* \* \*

كان من يحاول الكتابة في موضوع المرأة الشرقية ، يعني برد المفتريات ( الاستشرافية والتبييرية ) التي يزجيها كتاب الغرب عن عين وشمال ، تعصباً وسوء نية : أولئك اطلاعهم وقصور نظرهم وقد انهم

الأدوات الكافية التي تؤهل صاحبها لإصدار آراء صحيحة .  
 والمواضيعات الإسلامية لا يهم جم عليها بقراءة بعض مصادر غربية  
 مترجمة ، ولا على أثر رحلات خاطفة سريعة ، يعقبها إرسال الأحكام  
 هكذا إطلاقاً بغير حساب ، معممة شاملة كل عصر ومصر . وكثيراً  
 ما كان يكتفي أمثال هؤلاء الباحثين من دراسة المجتمعات الإسلامية ،  
 بنظرة عجل يلقونها على نظام (الحرير) التركي الذي كانت قد يعا  
 في (إسطنبول) وكفى الله المؤمنين القتال !

هذه العناية من كتابنا برد الشبهات (المغرضة) هي الجواب  
 الطبيعي على حملات المjahلين من جنود التحصّب النذيم ، وقد كثُر  
 هذا وذاك ، منا ومنهم ، حتى ملأ ، وحتى عرف كل متعلم أن تلك  
 المفتريات — وإن أصفوا عليها ثوب البحث — لاتستند إلى واقع  
 صادق ولا علم صحيح ، فلم تعد حاجة بنا اليوم — وهذه درجة المتحاملين  
 من الجهل وسوء الطوية — إلى الاشتغال بالجدليات ، فأسقطناها من  
 بحثنا اكتفاء بما استفاض من العلم بين الناس من جهة ، وبما جرى عليه  
 العمل من جهة أخرى في كثير من أمم المتحاملين : من إقرار الطلاق  
 رسمياً لضرورته الشديدة ، ومن استغنائهم عن تعدد الزوجات الشرعي  
 بتعدد الخليلات على صورة لا رسمية ولا شرعية . والطلاق وتعدد

الزوجات هما الأمران اللذان بني عليهما المتخاملون أكثر حملاتهم على نظرة الإسلام إلى المرأة . وإذا عرفت أن الطلاق والتعدد لا يشير بها الشرع إلا عند الضرورة القصوى، وال الحاجة الملحة ، وبشروط مقررة<sup>(١)</sup> وأن الأوروبيين والأميركيين لا شروط تقيدم في ذلك ، أيقنت أنهم في الماضي والحاضر ما زالوا بين تفريط وإفراط ، وأنهم لن يرجعوا إلى الخطة المشلى إلا بعد أزمان متطاولة تنضج فيها تجاربهم في هذين البابين .

\* \* \*

خطة الدفاع التي اتخذها مؤلفون نافرون في موضوع المرأة ، حسنت لهم أن يحشدوا من أمجاد المرأة العربية في جميع عصورها أكبر مقدار تيسير لهم الاطلاع عليه ، وعلى غزاره ما تجد في بعض هذه المؤلفات من مواد ، لاتستطيع أن تخرج منها بفكرة شاملة صحيحة عن صنيع الإسلام بالمرأة : كيف أقذها ؟ وإلى أين سما بها ؟ بل إنك تجد في أكثرها كلاماً عاماً خطابياً يعززه الصحة والسنن والشاهد .

(١) شروط تعدد الزوجات من الصموبة بمكان حمل المترلة على القول بتحريه لاستحالة تحقيق العدل بينهن في رأيهما على ماروى السيد أمير علي الهندى في كتابه « مركز المرأة في الإسلام » ص ٢١ .

أما الطلاق فلم يستحبه الإسلام إلا حين استحالة معيشة الزوجين معاً وبعد إخفاق كل الجهد .

فرأيت أن أحاول - على ضعفي وقلة بضاعتي - دراسة المرأة العربية بين جاهليتها وإسلامها، دراسة تستند إلى النصوص المجتمع عليها والواقع الصادقة المتواترة ، مقتصرًا على عصرها الأول وهو للمرأة العربية عصرها الذهبي بلا مراء ، إذ فيه رفع الإسلام من النساء طبقة رفيعة مختارة ، جعل لها من السمو والتقدис والاحترام : منزلة دون الأنبياء وفوق الخلفاء ، وحسبك بهذا تشريفاً لمقامها إلى الأبد .

ليس من موضوعنا في هذا البحث إذن : الكلام على المرأة في أعصرها التالية ، حين بدأت ( عملية الاختلاط والتفساعل ) تتسع وتعمق ، وتتسرب وتستعلن ، بين العرب والفرس : في الدم والعادات والتقاليد وأنماط العيش ؛ وحين أفسدت العادات الفارسية الرجل والمرأة معاً . وأتمنى أن يتاح لنا باحثون يقفون أنفسهم على إخراج بحوث متسلسلة تصور حال المرأة العربية عصرًا عصرًا حتى أيامنا هذه . ولا أجهل ما في ذلك من صعوبات وعقبات ؛ وما يحتاج الاضطلاع به من اطلاع كاف على التاريخ الاجتماعي لكل عصر وتنقيب على أحوال الأسر وطرز حياتها في كتب التاريخ والادب والمحاضرات ، ثم دراسة كتب الفقه المؤلفة في كل عصر على حدة — وهذا وحده يتضمن همة وإرادة وصبراً طويلاً — ... نعم ، أعلم حق العلم ما في ذلك كله من عناء

وما يتطلبه من سعة علم ونضج إدراك ، وذرّة في الاستقراء والاستنتاج ، وفقه جيد بالظان وقيمتها ، كما أني أعلم أيضاً ما في ذلك لنا من خير كثير ، إذ تعرف بذور الفساد وبوادر الانحطاط ، كما تلمس دوافع التقدم وعوامل السمو . فنستطيع أن نزن خطواتنا ونسير على هدى وبصيرة في نهضتنا هذه الحديثة .

أما أنا فأعتقد أن عصر صدر الإسلام هو العصر الوحيد الذي سلم من تسرب العادات والتقاليد الأجنبية بالنسبة للمرأة ، وأنه هو وحده عصر المرأة العربية الخالصة ، كما كان فهم أهلة للإسلام وروحه هو الفهم الصحيح .

ولا يفوتي هنا النص على أن التشريع النسائي والوصايا بالنساء كثرت في القرآن الكريم والحديث الشريف كثرة تستدعى الانتباه ، صيانة للمرأة من جوز العرف والمواضمات وتقلباتها في المستقبل ، وحفظاً لمقامها الاجتماعي عن الابتذال المحاط بالمجاملة والرياء على نحو ما نرى في المجتمعات الغربية ، فهناك احترام ظاهر لها ثم ابتذال غير رحيم . ولعلنا شاهدنا في أيامنا هذه عوامل الانحلال في كيان الأسر عند بعض الأمم : كيف أعقبها انحلال هذه الأمم نفسها . والإسلام كان جاداً كل الجد حين لم يعبأ بهذا الرياء المصطنع وأراد المرأة حماية

ومنه حققيتين ، فجعل الصيانة هي المور الذي تدور حوله أكثر الأحكام وذلك ماستراه في هذا الكتاب إن شاء الله .

ليس من خطتنا إذاً في هذه الدراسة ، أن نحكم على المرأة المسلمة بما استفاض في بعض الأمصار زمناً من الأزمان ، ولا أن نعتمد على الأفهام الأعمجية الغريبة كل الغربة عن الإسلام وروحه وجوهه ، ولا على الدراسات المترجلة التي لم تعن بالحق كل ظاهرة بأصلها وزمنها وأصحابها ... إنما النهج القويم لطالب الفهم الصحيح لنظرة الإسلام إلى المرأة ، أن يتحرر في مصادر الإسلام الأساسية ومنابعه الرائقه ويبيئاته الأصلية وعند أهلها الأولين ، قبل أن تشوب المجتمع العربي الشوائب الأجنبية ، وتفسده العناصر الدخيلة وزييف الحضارات المفترسة . وعلى من أراد شهود الماء على حقيقته الصافية أن يقصد ينبوغه ، فشلة طبيعته الخالصة وطعمه الصادق ولو نه الرائق ؛ أما رؤيته في النهر بعيداً من منبعه فلا تؤدي للمشاهد بحكم صحيح ، لأنَّه يراه بعد أن انصبت عليه الروافد المختلفة واختلط بيياه السيل وحمل كل مارموا إليه من أقداء .



كان هذا الكتاب في الأصل تمهيداً ومدخلاً لدراسة واسعة عن السيدة عائشة ، ولقد يسر الله إعادة كتابته بعد فقدان الأصل ، وهو أساس وتمهيد لكل دراسة عن المرأة العربية خاصة والسلمة عامة ، جعلته بابين : الأول في ( المرأة العربية في نشأة الإسلام ) ، والثاني في الطبقة المختارة من النساء ، اللائي كنّ موضع احترام الناس كافة رُمّاتهن ورعيتهن ، وهي : أمّات المؤمنين . وعنيت ببيان الشخصية الحقوقية للمرأة في المجتمع الإسلامي كما عنيت بيقية نواحيها ، وأكثرت — عن عمد — من الشواهد والوقائع والنصوص لتكون الأحكام برهانية لاختطافية .

فإن وقفت بعد هذا في حماولي فالحمد لله ، وإن قصرت فشفيامي عند نفسي أني بذلت خلصاً وسعي وهذا جهد المقل وأسائل الله المعونة والتأييد .

سعید الرفقانی

دمشق

ربيع الأول ١٣٦٤ هـ

آذار ١٩٤٥ م

# الباب الأول

## المرأة العربية في نشأة الإسلام<sup>(١)</sup>

يكاد العصر الذي نشأ فيه الإسلام يكون ملوكاً بالضرورة لـ كل من ضرب في الثقافة بـ سهم ، مسلماً أو غير مسلم ، عربياً أو أجنبياً ، يدرسـ طلاب مدارسـنا في تاريخـنا القومي ، ويلـم به طلابـ العلم في أقطـارـ الأرضـ حين يقرـؤونـ التـاريخـ العـامـ ، لأنـ الـاسـلامـ أـهـمـ الحـوـادـتـ الكـبـرىـ التيـ غـيـرـتـ وجـهـ التـارـيخـ : بـعـثـ أـمـةـ حـكـمـتـ الـعـالـمـ المـتـمـدـنـ قـرـونـاـ ، وـوـطـدـ حـضـارـةـ ، وـنـشـرـ تـقـافـةـ ، وـأـحـيـاـ أـمـمـ ، وـقـرـرـ لـلـانـسـانـيـةـ الرـاشـدـةـ نـظـامـهاـ الـخـالـدـ .

لهـذاـ أـسـتـغـنيـ الآـنـ عـنـ تـمـهـيدـ تـرـسـمـ فـيـ الـخـطـوـطـ الـبـارـزـةـ لـلـحـيـاةـ فـيـ ذـلـكـ العـصـرـ ، إـذـ لـايـجـهـلـ أـحـدـ عـصـرـ النـبـوـةـ وـالـراـشـدـينـ وـمـعـاوـيـةـ ، مـؤـثـرـاـ أـنـ أـمـمـ الـإـلـمـامـ قـصـيـرـةـ بـالـحـالـ الـجـديـدـةـ الـتـيـ قـرـرـهـاـ إـلـاسـلامـ لـلـمـرـأـةـ بـعـدـ أـنـ نـعـرـفـ شـيـئـاـ عـنـ الـمـرـأـةـ الـجـاهـلـيـةـ الـتـيـ وـجـدـهـاـ إـلـاسـلامـ أـمـامـهـ حينـ بـرـغـتـ دـعـوـةـ .

(١) نـلـصـتـ مـنـ هـذـاـ الـبـابـ مـحـاضـرـ أـلـفـيـتـهـاـ فـيـ الـجـمـعـ الـعـلـمـيـ الـعـرـبـيـ بـدـمـشـقـ فـيـ

١٩٤١ مـ كـانـونـ الـأـولـ سـنـةـ ١٣٦٠ هـ = ٥ـ مـ ذـيـ الـقـعـدـةـ سـنـةـ ١٣٦٠ هـ ) .

# الفصل الأول

## المرأة في الجاهلية

درج الجاهليون في علاقتهم بالمرأة على أحوال يصعب معها إطلاق الحكم إطلاقاً عاماً، فهم يحترمونها في نواحٍ ويعتذرونها في أخرى. والحق يقتضينا أن تكون نظرتنا عاممة شاملة : فلا يصح أن نحكم على حال المرأة - كما فعل فريق من الباحثين - ببعض نساء الأشراف المحترمات كاوية امرأة حاتم وهند زوج أبي سفيان وخديجة بنت خويد مثلاً ، كما لا يصح أن نشایع فريقاً آخر كان إلى الجوز المحن حين اخذ بعض نساء البداء والعوام الخشنين القساة مثلاً لنساء الأمة كلها .

ونحن مع تقريرنا أن المرأة العربية في القرنين السادس والسابع لل المسيح أهناً حالاً وأقرب إلى الاحترام في الجملة من المرأة في بقية الأمم حتى المتحضرة منها كالروماني ، مع هذا لا نجد محيضاً عن ذكر الحيف الذي عانته بعد شرح الرعاية لها .

فيينا كان للروماني وغيره قبل النصرانية الحق في أن يقتل

المرأة العربية  
والرومانية  
والفارسية

## زوجته ؛ كالم الحق في قتل عبيده<sup>(١)</sup> وبينما نرى الأمم الأوربية

(١) انظر مثلاً : الاسلام والحضارة العربية ١ : ٨٠ ، ٩٤ - هذا ولا بأس هنا من إمامية سريعة بنظرة أمم الحضارة يومئذ (الروماني والفرس وقبيل اليونان) إلى المرأة : اعتباراً لشينيون (وما أكثر الامم القديمة مدنية) المرأة من سقط المتع ، فقد كانت تباع وتشري في السوق لامتزالتها ، وكان يحق للإثنين أن يتزوج بأي عدد شاء من النساء . أما امبراطوره فلا تسمح للرجل باكثر من زوجة ، أما المرأة فلها أن تتزوج بأكثر من واحد وكانت جميع النساء يمارسن هذه المادة .

وفي بلاد الرومان كان التعدد - دون قيد ولا شرط - معمولاً به ، ومع تحرير الامبراطور جوستينيان التعدد بقي شائعاً ، وكانت الزوجة الأولى تتحكم بالبقية ، وليس لهن حقوق ، ولكن ذليلات وأولادهن سقط المتع في الهيئة الاجتماعية : لاميرات ولا حقوق . - انظر (مركز المرأة في الاسلام ص ٣٥ - ٣٨ ) للسيد أمير علي الهندي طبعة سنة ١٩١٢ .

أما المرأة الفارسية - وهي التي صار لها فيها بعد أكبر الأثر في انخراط المرأة العربية - فقد كانت عبدة سجينه لامتزالتها ، تباع بيع السلم ، وقد أباحت الأنظمة الفارسية بيعها وشرائها . وشر من ذلك كلّه إنها اباحت - على ما يقول الكاتب الروسي أغاييف - الزواج بالآمهات والآخوات والآمهات والآخوات وبنات الآخ وبنات الاخت ... ومقى حاضت المرأة أبندوها عن المنازل وجعلوها في خيام صغيرة في ضواحي المدينة : لا يخالطهن احد ، حتى الخدم يلفون مقدم أنوفهم وأذانهم وايديهم بلغافئ من القهاش الفلبيط عند تقديم الطعام لمن حذر أن يتبعسو إذا مسوهن أو مسوا الاشياء الحبيطة بهن حتى المواء .

والمرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة ويحق له أن يحكم عليها بالموت دون رقيب أو مؤاخذ ، يتصرف بها تصرفه بسلعته ومتاع بيته . - انتهى بتصرف يسير عن (حقوق المرأة في الاسلام) تأليف أحد أغاييف وترجمة (سليم قبعين) سنة ١٩٠٥ .

حتى بعد النصرانية بقرون تدأب على ازدراء المرأة والانحطاط بها عن مستوى البشر ، واعتبارها مصدر الشرور والآثام وأنها مخلوق لا يستحق غير اللعنة . . . إلى أمور أخرى يعرف تفصيلها كل من ألم بالتاريخ العام . . . ، بينما كان ذلك كله رأينا العربي قد سما بفطرته في بعض الحالات ، فجده المرأة في جاهليته ، وناجها في سره وعلمه ، ونظر إليها فوضنها في منزلة تسامي منزلة الرجل في كثير من الأحيان .  
والظاهر أن هذا لم يقع إلا بعد أن شاع في العرب في زمن متقدم امتنان المرأة وقتاً يسيراً ، حتى اضطرت حكمتهم أن تصحيح خططيتهم تلك فتقول : (المرأة من المرأة ، وكل أدماء من آدم) وهذا أقدم مثل قالته العرب على مازعم الميداني في (جمع الأمثال) .

\* \* \*

تولد الأنثى ، فيشعر والداها بخيبة ، فإن ظواهرًا بالفرح كان فرحاً  
وأجحًا يختلف عن المفارح التي تقام لولادة الذكور . وهذا شيء في  
طبيعة الناس كافة باديهم وحاضرهم : يعني كل والدين على الأرض  
أن يكون مولودها ذكراً ، فلا سبيل إلى إفراد العرب بالإنسكار  
إلا فيما جرت عليه عادة بعض القبائل من وأد قبيح نحن عارضون  
له بعد قليل .

وتغنى الأم بطفلتها عن أيتها بطفلها ، وينقلب أن يكون نصيب الأنثى

إذا عاشت من عطف أبيها أكثر، ورحمتها لها أشد لضعفها وخير  
ما يمثل لنا هذه العاطفة قول إسحاق بن خلف :

ولولا أميمة لم أجزع من العدم  
ولم أقاس الردى في حندس الظلم .  
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم  
فيهتك الستر من لحم على وضم  
والموت أكرم نزال على الحرم  
و كنت أبقي عليها من أذى الكلم  
أحاذر الفقر يوماً ان يلم بها  
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً  
أنخشى فظاظة عم أو جفاء أخ  
وقول حطان بن المعلسى :

ولولا بُنیات كزُغب القطا  
لكان لي مضطرب واسع  
ولإنما أولادنا يبننا  
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض  
حتى إذا بلغت مبلغ النساء كانت لها محض الإرادة في اختيار  
الزوج إلا فيما ندر ، فان أنسلت تمت لها المكانة المرموقة في النساء  
والعربي شديد الاحترام لأمه ، كثير الحدب عليها وعلى صياتها ،  
ويطيب له أن يتمدح إلى النساء بطوله وأمجاده ، فهو كلما استبسس  
في قتال او سابق إلى مكرمة فنجاشت نفسه بشعر ، بدأ بالمرأة فأشاد

بها ثم احتكم إليها فذكر مفاخره وأفعاله . ويشوّه ذلك كثيرة مستفيضة ، لقد كان فرسانهم ينزلون إلى حومة الوعي وألسنتهم رطبة بذكر صوابهم أو أخواتهم أو أمها ، يرتجزون متجمسين طالبين إلى هؤلاء النساء أن يشهدن شجاعتهم واقتحامهم الفمرات ، في سبيل مجدهم ومفاخرهم ، وما أكثر ما تجد في الشعر الجاهلي من مثل قوله عنترة :

هلا سألتِ الخيل يا بنة مالك     إن كنتَ جاهلة بما لم تعلمي  
يخبرُكَ من شهد الحقيقة أني     أغشى الوعي وأعُف عند المغم  
وقولُ بُكير أحد بن الحارث بن عباد ، يدح الأبطال بني شيبان في يوم ذي قار : اليوم الذي وقف فيه جبروت الفرس وطغائهم يتحدى شهامة العرب ووفاهم ، فأدال الله للخلقُ الكريم من الظلم الغاشم ونصر الفضائل العربية على الاستبداد الفارسي ، واغبط فيه كل عربي في المواضر والبواقي حتى سواحل اليمن ، معتزاً : أن أدال الله للعرب على العجم :

إن كنتَ ساقيةَ المدامَة أهلها     فاسقي على كرمِ بني هتم  
ضربوا بني الأحرار يوم لقوهمُ     بالشرفِ على مقيلِ المام<sup>(١)</sup>

(١) تاريخ الطبرى ١ : ٦١٢ (مطبعة الاستقامة - مصر سنة ١٩٣٩ م) وبشر الأحرار : هم الفرس .

وقول الآخر في يوم ذي قار أيضاً:

إِنْ كَنْتِ سَاقِيَةً يَوْمًا عَلَىٰ كَرْمِ  
فَاسْقِيْ فُوَارِسَ مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ  
وَاسْقِيْ فُوَارِسَ حَامِوْا عَنْ دَرِيَاهُ  
وَاعْلَىٰ مَفَارِقَهُمْ مَسْكًاٰ وَرُّحْمَانَا  
وَحَتَّىٰ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَابْنَتْ جَيْوَشَ الْعَرَبَ تَكَافَحَ الظُّلْمُ فِي  
سُورِيَّةِ وَالْعَرَاقِ، صَرَّتْ تَسْمِعُ تَعْدَّاحَ الْفَرَسَانِ بِضَرُوبِ شَجَاعَتِهِمْ  
لِلنِّسَاءِ، اسْتَمْرَأَ لِعَادَاتِهِمُ الْقَوْمِيَّةَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فِي حَرْبِ الْقَادِسِيَّةِ  
تَرَىٰ أَمْثَالَ قَوْلِ الْقَائِلِ :

حيث عنا عكرم ابنة خالد وما خير زاد بالقليل المفرد  
وحيتك عنا عصبة تخمية حسان الوجه آمنوا بمحمد  
أقاموا الكسرى يضربون جنوده بكل رقيق الشفتين مهند<sup>(١)</sup>  
وفي حرب اليرموك بالشام ، لم يكن الأبطال الفرمان لينسوا  
المرأة في ارتيازهم متحمسين ، فقال القعقاع بن عمرو حين كر  
على الروم :

ياليتي ألقاك في الطراد يوم اعتراض الحفضل الوراد<sup>(٢)</sup>

(٢) الطبرى : ٥٩٤

وادْجَز عَكْرَمَة بْن أَبِي جَهْل وَقَدْ حَمِيَ حَمِيَ :  
قد علمت بـهـكـنـةـ الجـوارـيـ أـنـيـ عـلـىـ مـكـرـمـةـ أحـامـيـ ... الخـ<sup>(١)</sup>  
لـقـدـ كـانـ الـفـارـسـ الـعـرـبـيـ يـعـدـ إـعـجـابـ المـرـأـةـ بـهـ خـيـرـ مـكـافـأـةـ عـلـىـ  
بـطـولـتـهـ وـاقـتـحـامـهـ الـمـوـتـ .

وـاـذـ كـرـكـرـهـ فـيـ صـدـرـ كـثـيرـ مـنـ أـيـاتـهـ :  
أـمـاوـيـ أـنـ المـالـ غـادـ وـرـائـحـ وـيـقـيـ منـ المـالـ الـأـحـادـيـثـ وـالـذـكـرـ  
أـمـاوـيـ إـنـيـ لـأـقـولـ لـسـائـلـ إـذـاـ جـاءـ يـوـمـاـ :ـ حلـ فـيـ مـالـنـاـ نـزـرـ  
أـمـاوـيـ مـاـ يـغـنـيـ الثـرـاءـ عـنـ الفـقـيـ إـذـاـحـشـرـجـتـ نـفـسـيـ وـضـاقـ بـهـ الـصـدـرـ  
إـلـىـ اـخـرـ الـأـيـاتـ الـتـيـ يـذـكـرـ مـاـوـيـةـ فـيـ صـدـرـ كـلـ مـنـهـ .

وـإـنـ شـيـوـعـ الغـزلـ فـيـ كـلـ قـصـيـدـةـ جـاهـلـيـةـ مـهـماـ كـانـ مـوـضـعـهـ  
وـالـبـاعـتـ عـلـىـ قـوـلـهـاـ ،ـ خـلـقـيـقـةـ أـنـ نـقـفـ أـمـامـهـ وـقـفـةـ طـوـيـلـةـ مـتـأـمـلـينـ  
مـلـاحـظـيـنـ ،ـ فـاـكـانـ هـذـاـ يـكـونـ لـوـلـاـ أـنـ الـمـرـأـةـ تـشـفـلـ فـيـ الـجـمـعـ الـعـرـبـيـ  
مـنـزـلـةـ هـامـةـ يـتـجـمـعـ حـوـلـهـاـ كـثـيرـ مـنـ الشـؤـونـ ،ـ وـهـوـ فـيـ الـوقـتـ فـسـهـ  
دـلـيلـ عـلـىـ مـاـتـحـتلـ مـنـ عـقـلـ الـعـرـبـيـ وـقـلـبـهـ .

وـالـعـرـفـ الـعـرـبـيـ لـاـ يـحـسـوـزـ تـعـرـيـضـ النـسـاءـ لـمـخـاـوـفـ وـالـتـهـديـدـ ،ـ  
وـيـفـرـضـ حـمـاـيـتـهـنـ وـفـدـاءـهـنـ بـالـرـوـحـ ،ـ وـيـحـتـقـرـ كـلـ مـنـ تـهـاـوـنـ بـصـيـانـتـهـنـ

---

(١) الجزء نفسه من ٥٩٥ والهـكـنـةـ :ـ الـجـارـيـةـ الـفـضـةـ الـمـنـعـمـةـ .

أو تردد في الموت دونهن . أما من قتل امرأة أو حمل عليها أو تدحه بغلبته عليها فيكاد لا يعرفه المجتمع العربي البتة ، بل المادة ألا يُقابلن بالمثل إِذَا بدأ بضرب أو شتم ، والمثل المشهور « لو غير ذات سوار لطمني »<sup>(١)</sup> نص قاطع في هذا الشأن .

صفات المرأة الجاهلية جلة

تميز المرأة الجاهلية في الجملة بخالل تلات : العفة ، والفصاحة ، وحسن التربية لبنيها . وإن الرجولة الطاغية في بلاد العرب مدينة بالشيء الكثير للمرأة إن لم تكن مدينة لها وحدها بكل صفاتها من صروءة وشجاعة وكرم ونجدة . وأصبح اختيار الأمهات أول ما يفكرون فيه الجاهلي إِذَا ابتعى النجابة لأبنائه ، حتى صبح أن يكون رأس ما يعن به الرجل على أبنائه إِذَا كبروا هو حسن اختياره لأمهاتهم :

وأول إحساني إِيليكم تخيري ل Mageed الأعراق باد عفافها

هذا مارأيت أن قبائل العرب كافة تكاد تجتمع عليه في نظرتها إلى المرأة ، وأصبح نتيجة محتومة لما تقدم أن ينبغي في النساء أعلام كثيرات مشهورات ، فكان منها ذوات الرأي والنفوذ ، كما كان

(١) قاله حاتم الطائي : وذلك أنه مر ببلاد عزبة في بعض الأشهر الحرم ، فناداه أسير لهم « يا أبا سفاعة أكاني الإسرار والقمل » فقال « ويحك أسمات إذ نوهت باسمي في غير بلاد قومي » فساوم القوم به ثم قال : « أطلقوا واجلوا يدي في القدر مكانه . » فقاموا ، خاءته امرأة بيعير ليقصده فقام فتحره ، فلطمته وجهه فقال : « لو غير ذات سوار لطمني . » يعني أنه لا يقتضي من النساء

منهن الشواعر والكونواهنهن والزواجر والمربيات . وأصبح نتيجة مختومة أيضاً أن تكون مكانة المرأة واحترامها والذود عنها وعن شرفها سبباً مباشرأً وحيداً في إنشاب حروب طاحنة : خرب ذي قار شبـت بسبب صيانة النعـمان بناته عن تزوـيجـهن من الفرس ، وحرب البسوس التي دامت أربعين سنة التهمت الأخضر واليابس وكاد الفريقان فيها يفـنيـان نشبـت حفـظـاً لجـوارـ امـرأـةـ ، وحـربـ الفـجـارـ الثانيـ في عـكـاظـ كانت أيضاً انتصاراً لـكرـامةـ امـرأـةـ (١) ...

كانت المرأة الجاهلية تعاني - عدا شؤون بيتها من رعي وحلب وطين وترية أطفال ومساعدة الزوج في مهنته - بعض الصناعات كالنzel والتجارة والكهانة والزجر واللهو أحياناً، أما في الحروب فكان إليهن التمريض والعناية بالجرحى وسقى الماء وتحميس المحاربين.



(١) انظار كتابنا (أمساك العرب في الجاهلية والإسلام) ص ٣١٢ و ص ٣٠١  
(طبعة ثانية : مطبعة دار الفكر سنة ١٩٦٠)

## الفصل الثاني

### مظالم الجاهلية للمرأة

شأنهم بالأدنى

فلننظر الآن في بعض مالحقها من شدة وحيف عند بعض قبائل

العرب :

كثير من أهل الجاهلية نظيرٌ من المرأة فامتنهنا وعدّها أداة شر،  
وكان بلاءه الأكبر أن تولد له ائتمى . وهؤلاء فريق غلوٌ في كرههم  
الائتمى حتى كاف ما قصه الله علينا من أمرهم من شهوتهم البنين  
وكرههم البنات :

« وَيَجْعَلُونَ اللَّهَ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهِنُونَ »<sup>(١)</sup>

ويجعلون الملائكة بنات الله :

« وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَأْشِدُوا  
خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ »<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى واصفاً حالهم معرضاً بهدا المثل الذي جعلوه الله:  
وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِعَاصِرَاتِ لَدَ رَحْمَنِ مَثَلًاً ظَلَّ وَجْهُهُ  
مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ »<sup>(٣)</sup>

(١) سورة النحل الآية ٥٧ (٢) سورة الزخرف الآية ٤٣ (٣) سورة الزخرف الآية ١٧

وقال في موضع آخر :

وإذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أُعْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي الشَّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ .<sup>(١)</sup>

الواد هذا الغلو في كره الإناث أدى إلى العادة المشؤومة وهي وأد

البنات ، فكانت بعض قبائل العرب كريمة وكندة وعميم<sup>(٢)</sup> تشد بناتها خوف أن يحرجهن الفقر إلى العار والفضيحة ، بل إن بعض العلماء ذهب إلى أن الوأد كان في عامة قبائل العرب وأنه « يستعمله واحد ويتركه عشرة ». <sup>(٣)</sup>

وهذا – إن صحيحاً – يدل على أن الوأد كان فيهم بنسبة واسعة هائلة ، بحيث تصبح الجزيرة مسرحاً لمحازر بشريه كل يوم . وقد ذكروا أن رجلاً واحداً هو قيس بن عاصم المقرري وأد بضع عشرة من بناته في الجاهلية ، فلما أسلم قال يوماً للنبي ﷺ : « إني وأدت انتي عشرة بنتاً أو ثلاث عشرة بنتاً ». ومع أن الإسلام يحب ما قبله ، لم يشا النبي ﷺ إلا أن يعظم عليه ما أتى ، وأن يفرض عليه كفارة تقابل فعلته فقال له : « أعتق عن كل واحدة نسمة ». <sup>(٤)</sup>

(١) سورة النحل الآياتان ٥٨ ، ٥٩ (٢) بلوغ الأرب ٤٢ : ٣

(٣) المصدر نفسه ص ٣٤ وأسد الغابة ٤ : ٢٢٠

ولأمر ما كان من جملة ما بایع علیه النبي ﷺ النساء يوم فتح  
مكة : ألا يقتلن أولادهن <sup>(١)</sup>

وهذا المنكر وإن كان مصدره الاغراق في فضيلة العفة ، تماشه  
الطبيعة البشرية وتبرأ من قساوته وشناعته «إِذَا الْمَوْرُودَةُ سُتُّلَتْ :  
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟» <sup>(٢)</sup> شاعت هذه العادة ، ولا يعلم إلا الله كم  
ذهب ضحاياها من البريئات ، وكم اقشعر لهول هذه المشاهد كل يوم  
من قلوب وأكباد ، حتى أدرك الله تلك القبائل بالاسلام .

وإلى جانب هذه العادة القبيحة عادة الوأد ، نرى عادة السبي :

فقد جرى أكثر المجاهدين على عد المرأة كالمتاع الجامد الذي ينهبونه  
من أعدائهم ، فإذا كانت الغارة حمل كل فارس ما قدر عليه من النساء  
والذراري ، فكانوا جميعاً ملوكه يتصرف فيهم كما يشاء من يسع وتعتّع  
وامتهان واسترقاق ، غير آبه لأطفال حرموا أمّهم . وأمّ أصبحت بلا  
أطفال ، فقطعوا بذلك الأرحام وأفسدوا الأنساب .

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٣٢٨ ومن طريف ما يروى بهذه المناسبة أن هند بنت  
عتبة زوج أبي سفيان كانت من جملة المبايعات ، بعد ما كان منها ما كان يوم أحد  
من العداوة للرسول والمسlein ، حتى لا كثت كبد حمزة عم الرسول انتقاماً لمن قتل  
من أهلهما يوم بدر . فلما أخذ الرسول البيعة على النساء ووصل إلى قوله ( ولا تقتلن  
أولادكن ) أجبته هند : قدريناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً ، فأنت وهم  
أعلم . وكان عمر حاضراً فضحك حتى استغرب

(٢) سورة كورت (٨١) الآياتان ٨ ، ٩

بل بلغ امتهان المرأة عند بعضهم أن كان الرجل إذا مات صديقه قال : « أنا أحق باصرأته » ثم ضمها إليه فاما اختارها لنفسه وإما زوجها واستولى على مهرها . اذْكُرْ هَذَا وَقَبْلَهْ بِمَا تَعْنِيهِ بَهْ بَعْضُ السَّيَّدَاتِ الْعَرِيبَاتِ أَيْضًا مِنْ تَطْلِيقِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ مَتَى شَاءَنَ ، تَجِدُ بُونَّا شَاسِعَابِينَ الْمَزَلِتَيْنَ ، وَتَوْقِنُ مَعْنَاهَا قَدْمَنَاكَ مِنْ صَعْوَبَةِ إِطْلَاقِ الْحُكْمِ إِطْلَاقَ عَامَّاً .

دوافعهن النساء  
مع المطاع

وَأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا ماتَ وَرَثَ وَلَدَهُ — فِيمَا يَرِثُ مِنْ مَتَاعِهِ — زَوْجَاهُ جَمِيعًا فَتَمْتَعُ بِهِنَّ كَمَا كَانَ يَتَمْتَعُ أَبُوهُ . أَصْفَ إِلَى ذَلِكَ زَوْجَ الْمُتَمَّةِ الْمُنْتَشِرِ حِينَئِذِ بِلَا قِيدٍ وَلَا شَرْطٍ . وَتَصُورُ بِنَفْسِكَ الْمُسْتَوِيِّ الَّذِي انْحَطُوا بِالْمَرْأَةِ إِلَيْهِ .

أَمَا الشَّرُّ الَّذِي اسْتَمْرَ أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الشَّرُورِ الْمُتَقْدِمَةِ ، وَالَّذِي عَاشَ حَتَّى زَمْنَتِهِ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ اسْتِئْصَالِ إِلَيْهِ لِعَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي بَعْضِ الْقَبَائِلِ فَهُوَ : حِرْمَانُ النِّسَاءِ مِيرَانِهِنَّ .

والواقع أن مظالم الجاهلية للمرأة أبادها الإسلام جملة واحدة حتى قال عمر بن الخطاب : « وَاللَّهِ إِنْ كَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَانِعِنَّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ ، وَقَسْمٌ لَهُنَّ مَا قَسْمٌ . » ولَكِنْ بَعْضِ الْعَادَاتِ كَانَتْ فِي فَرِيقٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مِنْ التَّمْكِنِ بِحِيثُ لَمْ يُسْتَطِعْ إِسْلَامُهَا السُّطْحِيُّ الَّذِي دَانَتْ بِهِ أَنْ يَجْتَهِنَّ . وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ نَفْسَهُ نَصٌّ عَلَى عَدَمِ تَعْكِنَ الدِّينِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْرَابِ قَالَ : « أَلْأَعْرَابُ أَشَدُ

حِرْمَانِ الْأَرْضِ  
وَالْمَهْرِ

كُفِرُوا وَنَقَاوًا وَأَجْذَرَ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَمَنِ الْأَعْرَابِ مِنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفَقُ مُغْرِمًا  
وَيَرَبَّصُ بِكُمُ الدُّوَارَ .. »<sup>(١)</sup> .

وقال: « قَاتَ الْأَعْرَابُ أَمَنًا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا  
أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ». »<sup>(٢)</sup> .

بل إنما لترى بعض الدين حسن إسلامهم من الصحابة الكرام ،  
يخضعون من حيث لا يشعرون ، لمقاييس جاهلية في نظرتهم إلى البنت:

هذا عمرو بن العاص دخل على معاوية وبين يديه بنته عائشة فقال:  
« من هذه ؟ » فقال : « هذه تفاحة القلب » فقال له : « ابندها عنك  
فوالله إيهن ليشن الأعداء ، ويقربن البداء ، ويورثن الضفائن ». قال  
معاوية « لا تقل ذلك يا عمرو ، فوالله ما صرخ المرضى ولا ندب الموتى  
ولا أغان على الأحزان مثلهن ، ورب ابن أخت قد نفع حاله ». »<sup>(٣)</sup>  
وكلام عمرو هذا بعد الهجرة بأربعين عاماً ، دليل واضح على أن النظرة  
الجاهلية لم تستأصل تماماً من نفوس بعض الدين ربوياً على آدابها ، على

(١) سورة التوبة الآياتان ٩٨، ٩٩ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

(٣) المقد الفريد (طبعة ١٩٢٨) ١ : ٣٦٤ .

رغم نصف قرن قضوه في الإسلام ، بل ما يزال من أحكام يشتهرها آثار  
تظهر فيهم من حيث لا يشعرون .

وانظر تأصل هذه العادة القبيحة عند بعض من أسلم من الملاحدة في قصة غيلان بن سلمة التقي : فقد ذكروا أنه أسلم وله عشر نسوة ،  
فطلب إليه الرسول ﷺ أن يختار أربعاً منها ، وبقي على ذلك ،  
حتى إذا شاخ أيام عمر بن الخطاب ، طلق نساءه وفرق ماله في بيته ،  
فأخبر عمر ، فأرسل إليه « وائم الله ! التراجعن نساءك ، ولترجعن في  
مالك ، أو لأورثهن منك ولا آمن بقبرك في رجم قبر أبي  
رغال . » <sup>(١)</sup> فأشفقت جاهلية غيلان من عزيمة عمر .

وأصل النظرة في حرمانهن البنت حقها من الارث : أن المال  
يذهب إلى الغرباء الذين تزوجت إليهم وكثيراً ما يكونون من أعدائهم ،  
وهم حراص على بقائه في أسرهم ثم هم لانتطيب نفوسيهم أن يؤول مالهم  
إلى من لا تنفع القبيلة بهم في القتال ، ومن قوله المعروف في ذلك :  
« لا يرثنا إلا من يحمل السيف ، ويحمي البيضة . » أضف إلى هذا  
اغتصابهم مهرها أيضاً . وهو ظلم يزيده قبحاً أنه منصب على مخلوق  
ضعيف ، يصبه عليه أحق الناس برحمته وهم أبواته وأهله :

(١) الأصابة : ترجمة غيلان بن سلمة ٣ : ١٩١ – أبو رغال – على ما يقول  
الجوهري – كان دليلاً للعجبة حين توجهوا إلى غزو مكة فمات في الطريق فرجت  
العرب قبره على خيانته .

وظلم ذوي القربي أشد مضاضةً على المرأة من وقع الحسام المهدن<sup>(١)</sup>  
غصب المرأة إرثها ومهرها ، هو العادة الأثرية الباقية في كثير من  
أهل البدية حتى اليوم<sup>(٢)</sup> .

وهناك نوع آخر من هذا الظلم ، يقع على اليتيمة تكون عند الرجل  
« هو ولدتها ووارثها ، قد أشركته في مالها حتى في العذر ، فيرغب عن

(١) طرفة بن العبد .

(٢) لست أعرف اليوم بين القبائل الضاربة في بوادي الشام وسوهلها ومشارفها  
من يتزوج عن هذا الظلم ، بل إنني رأيت في بعض قرى ( فلمون ) في الشام من  
درجوا على حرمان الاناث حقوقهن في الميراث والمهر . وكانت هذه القرية وهي  
( عسل الورد ) على اختلاط وعلاقة مع ( العربان ) فمنها هنا تسربت هذه  
السنة السيئة فيهم وأصبحت عرفاً من عرفهم . وإن أعجب شيء فلبعض  
الاسر الكبيرة الثرية في زماننا ، الذين يختالفون شئ الاختيارات ليحرموا الانثى  
حقها من الارث فجعل أهل الجاهلية شبراً بشبر ، يوزع رب الاسرة ثروته في  
الذكور دون الاناث قبيل وفاته . وتزيد الجراءة في بعض فينص على هذا الحرمان  
في وصيته كأن الاسلام لم يكن ، وكأن الله لم يبعث رسولاً ولم ينزل وحياً .  
وإذا كانت الاسرة أسرة صلاح ، جرت على ظلم آخر فنمت بيتها الزواج طول  
عمرهن خشية توزع الثروة وتسرب الميراث إلى الأسر الغريبة . حتى إن لأعراف  
أسرة كبيرة بدمشق واسعة المزارع والضياع فيها نحو خمسين عائساً بين شابة  
وكهله وشيخة .

هذا شيء نعرفه في الشام ، ولعل في مصر وبقية الأقطار قريباً منه ، والأمر  
بعد إلى الله ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) .

أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في مالها ، فيغضلها<sup>(١)</sup> وقد وقع على عهد الرسول ﷺ نحو من هذا فكان « جابر بنت عم دمية ولها مال ورته عن أبيها ، وكان جابر يرغب عن نكاحها ، ولا يزوجها من غيره خشية أن يذهب الزوج عالها »<sup>(١)</sup> فنزل الوحي حاسماً بالنهي عن هذا العدوان وذلك قوله تعالى :

« وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُفْتِيكُمْ فِيهَا وَمَا يُتْلِي  
عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي بَيْتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْثِرُنَّ مَا كُتِبَ  
لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ »<sup>(١)</sup> .

ثم هم لايسرون بين الرجل والمرأة في الدماء ، فلا يقتلون رجلاً بامرأة كائنة من كانت ، إلا أنه ينبغي أن نقرر هنا أن من النادر أن يقتل رجل امرأة إلا إذا عرف عليها فاحشة وكانت تخصه ، فحينئذ يغسل عاره بدمها ولا شيء عليه .

**الحكم الفالب** هذا ولعلنا لأن تكون إلى الغلو ، إذا اعتقدنا أن أمر المرأة في الجملة غير حميد في المجتمع الجاهلي الذي تشاءم بالمرأة كل التشاؤم ، حتى درج فيه هذا القول : « الطيرة في ثلاثة : في المرأة والدابة

(١) انظر أسباب نزول الآية (١٢٦) من سورة النساء في كتاب (باب النقول في أسباب النزول) للسيوطى .

والدار»<sup>(١)</sup> ولا يرد علينا مادر جت عليه بعض الأسر النبيلة من احترام للمرأة ولحقوقها ، فذلك شيء قليل لا يصلح إطلاقه على مجتمع عرب الجاهلية ، فقد كانوا حقيقة الى الجهل والخشوونة والبداؤة<sup>(٢)</sup> ، وتلك أمور تنتيج في كل إقليم ماأنجبت في جزيرة العرب ، فامتياز بعض أشراف الحواضر ككمة والمدينة شذوذ لا يقاس عليه .

ولا يستطيع أحد أن يزعم — بعد هذا — أن الحال التي وجدت فيها المرأة العربية من وأدٍ وسبي وحرمان ميراث وغضيل وغضب مهر وامتهان . . . هي حال حسنة ، والحكم دائمًا على المجموع لاعلى الجميع .

(١) انظر ص ١٢٧ (الاجابة لإبراد ما استدركته عائشة على الصحابة )

للزركشي (المطبعة الماشمية بدمشق ١٩٣٩ )

(٢) وكثيراً ما كانت قسوتهم تudo الاناث الى الذكور فقد روى عروة أن عائشة قالت : « جاء إلى النبي ﷺ رجل من أهل البادية فقال : يا رسول الله أتقبلون الصبيان ؟ » قال : (نعم) قال « فواحة ما تقبلهم » قال : « أو أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة » — فتح الباري ١٠ : ٣٦٠ (المطبعة الأميرية) وصحيح مسلم ٢١٣ (المطبعة الأميرية) .

## الفصل الثالث

### صنيع الاسلام للمرأة

... ثم جاء الإسلام : فغير كل شيء ، وأول ما بدأ به مظالم المرأة فقضى عليها قضاء مبرماً وعني أشد العناية باشعار الرجل أن المرأة مخلوق مثله في الإنسانية ، ومكّن لهذا الشعور التمكين كله فتجد في التزيل العزيز أمثل هذه الآيات .

« هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكنُ  
إليها » <sup>(١)</sup> ،

« يا أيها الناس اتقوا ربيكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق  
منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء » <sup>(٢)</sup> ،

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم  
بنين وحفيدة » <sup>(٣)</sup> ،

(١) سورة الأعراف ٧ الآية ١٨٨ .

(٢) سورة النساء ٤ الآية ١ .

(٣) سورة النحل ١٦ الآية ٧٢ .

«فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً»<sup>(١)</sup> .. الخ  
 ولأمرِ ما كرر الوحي الاشارة إلى أن الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ، فهو يريد استئصال امتهان راسخ في نفوس بعضهم<sup>(٢)</sup>  
 للنساء ، ثم عرف الاسلام لها حقوقها كاملة ، وأدراها من عن特 الجاهلية وإيهاقها بعد أن عانت منها ما عانت ، ثم بوأها المقام المحترم  
 في بيتها وفي المجتمع ، وأوصى بها ، وإليك بعض التفصيل :  
 كان وأدّ ، فجأة الاسلام يتجرّيه فلم تكن موؤدة منذ انتشار بطال الظالم جلة  
 الاسلام حتى يومنا هذا ،  
 وكان سبي ، فحرم الاسلام السبي منذ حرم الفزو .

(١) سورة الشورى ٤٢ الآية ١١.

(٢) لقد غالى بعض الباحثين في ( تعميم ) الحكم على العرب دون حجّة مقبولة أو استقراء صحيح ، فزعزع الكتاب الروسي أحمد أغابيف في كتابه ( حقوق المرأة في الاسلام - ترجمة سليم قباعين ) أن العرب كانوا يسمون نساءهم يسمون الرقيق أو يستبدلون بهن بعض الحيوانات الاهلية ( ٩٩١ ) ص ٢٩ - ولم يذكر أى يغایف المصدر الذي اعتمد عليه ، ولا الحوادث التي استتبّط منها حكمه الجريء وللنفرض جدلاً أن مثل هذا الحادث وقع مرة أو مرتين في بعض البوادي في عام قحط أو شدة ، فيليس يعني حكم على حادث أو حادثين . على أيّ - على كثرة تقبيي - لم أغير على أدنى خبر يشير الى استبدال عربي حيواناً بامرأة . ولست أشك أن هذا الحكم من جملة أحكام كثيرة يصدرها بعض الباحثين المستشرقين ( في شطحاتهم وشلقاتهم ) دون استناد إلى شيء .

وكان امتهان لإنسانيتها ، فسوى الاسلام بين دم الرجل ودم المرأة  
وصار يقتل قاتلها ، كما سوى بينها في حد القذف .

وكان استئثار دونهن بالمهور ، فجعلها الاسلام حقاً لهن خالصاً  
لا يزعه إلا ظالم .

وكان تعدد الزوجات غير محدود ولا مقيداً ، فجاء الاسلام محدداً  
له ، مقيداً إياه بقيود كفيلة بالقضاء عليه ، كما فعل بالرق .

وكان إكراه للفتيات على البناء ليكسبن لأسيادهن مالاً ، فجاء  
الاسلام معلناً : « وَلَا تُكْرِهُو فَتَيَاتُكُمْ عَلَى الْبِنَاءِ » <sup>(١)</sup>

وكان قتل للأولاد من الفقر أو من خشيته ، فجاء الاسلام حامياً  
لهم مطمئناً آباءهم على أرزاقهم وأذاق أولادهم غاصطاً الفقراء منهم بهذا  
القول الكريم :

« وَلَا تَقْتُلُوا أُولُادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقِنَا حَنَّ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَاهُمْ » <sup>(٢)</sup>

وغير القراء بقوله :

وَلَا تَقْتُلُوا أُولُادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقِنَا حَنَّ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَاهُمْ  
إِنَّ قَاتَلَهُمْ كَانَ خِطْبًا كَبِيرًا <sup>(٣)</sup> » .

(١) سورة النور ، الآية ٣٣

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥١

(٣) سورة الاسراء الآية ٦٩

وكان حرمان ميراث ، فقرر لهن الاسلام حقوقهن فيه: «لَذَّ كُرِّ  
مثُلُ حظِ الْأُنْتَيْنِ»<sup>(١)</sup> وجعل هذه الحقوق فريضة من الله نافذة.  
وكان عضل (منع) لهن عن الزواج طمعاً في أن يفتدين أنفسهن  
بمال ، أو يمتن فيرنوهن ، فجاء الاسلام ناهياً عنه زاجراً :  
«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُو النِّسَاءَ كَرِّهَاهَا  
وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَّبُوا بِعَيْنِيْنِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ»<sup>(٢)</sup> .  
وكان إمساك عشرة لهن ، فنزل الوحي بهذه الكلمة الطيبة الجامدة:  
«وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»<sup>(٣)</sup>  
وكان الولد يرث زوجات أبيه في جملة المتابع ، فجاء الاسلام رادعاً  
أشد الردع عن هذا المنكر بقوله :  
«وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ  
سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتَنِيَا وَسَاءَ سَبِيلًا»<sup>(٤)</sup> .  
وكان ... وكان ... مما أبطله الاسلام جملة واحدة .  
ثم سن لها تشريعاً مفصلاً في الإرث والزواج والطلاق مبيناً ما لها

(١) سورة النساء ، الآية ١٠

(٢) سورة النساء ، الآية ١٨

(٣) سورة النساء ، الآية ٢١

وما عليها ضمن هذا الأساس (الحقوقي) العادل «ولَهُنَّ» مثلُ الذي  
عليهنَّ بالمرُوفِ <sup>(١)</sup> :

جعل المهر حقاً خالصاً للمرأة ونهى عن مسه بأي سبيل كان :  
«وَآتُوا النِّسَاءَ صَدْقَاتِهِنَّ نِحْلَةً» <sup>(٢)</sup> .

«وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مِّكَانِ زَوْجٍ وَآتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ  
قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوهُ أَمْنَهُ شَيْئَنَا، أَتَأْخُذُونَهُ بِهَنَانَا وَإِنَّا مُبِينَا.  
وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بِمَنْضُوكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخْذَنَ  
مِنْكُمْ مِّثْنَاقاً غَلَيْظَاً» <sup>(٣)</sup> .

وجعل إحسان العشرة الزوجية من أهم ما يجب على الرجل التزامه،

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٨

(٢) سورة النساء الآية ٣

(٣) سورة النساء الآيات ١٩ ، ٢٠ ذكر ابن الجوزي في كتابه في سيدة عمر  
ابن الخطاب : أن عمر نهى الناس عن زيادة المهر و خطب فيهم قائلاً :  
«لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية نحو (اربعمائة درهم) ... فلن  
زاد أقيمت الزيادة في بيت المال» . ثم نزل فقامت امرأة من صف النساء طوبولة  
في أقها فطس فقالت : « ما ذلك لك » قال : « ولم » قالت : « لأن الله تعالى  
قال : « ... وَآتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَنَانَا  
وَإِنَّا مُبِينَا ؟ » فقال عمر : « امرأة أسبت ورجل أخطأ » ، « كل  
الناس أفقه من عمر » ثم رجع فركب المبر وقال : « يا أيها الناس ، كنت  
منهكم أن تزيدوا النساء في صدقتهن (مهورهن) على أربعمائة درهم ، فمن  
شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل »

وَكَرَهَ الشارع الطلاق إِلَى النّاسِ وَبغضه وشده فيه ، ورتب على الرجل إنْ أُوقعه واجبات غير سهلة ، بل إنَّه توقع للرجل خيراً كثيراً إنْ هو أبقى على العلاقة الزوجية ، حتى حين تشتد الكراهيَة بين الزوجين قال الله تعالى :

«وَاعْشِرُوهُنْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنْ فَمَسْئِيْ أَنْ تَكْرَهُوْنَا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا<sup>(١)</sup>»  
وأجل أجل المطلقات : مدة طويلة يعيش فيها في يومن ، ليرجع الرجل إلى نفسه فيتلافى ما فرط منها ، وهذا غاية الاحتياط في توثيق هذا العقد بين الزوجين ... حتى إذا أُعْيَت كل حيلة ، وتغضّ عيش الزوجين ، ولم يكن ثمة من الفراق بد ، كان الواجب على الزوج إذا اعتزم الطلاق : «تسريح باحسان<sup>(٢)</sup>» .

وهكذا نجد (المعروف) و (الاحسان) هما أساس كل علاقة زوجية ، وهما الأساس أيضاً بعد انفصال تلك العلاقة .  
المرور  
والاحسان  
أساس كل علاقة  
بين الزوجين

وقرر في مواريث النساء هذه القاعدة : «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مَّا  
تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

(١) سورة النساء الآية ١٨

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٩

والأقرَبُونَ مِمْتَاقَهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبَهُ مَفْرُوضًا<sup>(١)</sup> ..  
ويَيْنَ لِلمرأة حُقُوقُهَا مِن الارضِ : زوجاً وأمّاً وبناتاً وأختاً، فصارت  
كالرجل ذات حقوقٍ أصلية منصوصٌ عليها بالتفصيل .

ولولا أن الكلمة لا تتسع لشرح أكثر لأنينا على جميع ما فرض  
لهن من حقوق حتى صرن في المجتمع الإسلامي بمكانة (حقوقية)  
تحسدها عليها متمدنة القرن العشرين . فلا أقل إذًا من أن نحيل القاريء  
المجول على مصدر واحد هو القرآن الكريم ، فليمعن في تدبر هؤلاء  
الآيات الكثيرة الخاصة بالنساء : توصيةً بهن وتشريعًا لهن ، ليقرأ في  
[سورة البقرة : الآيات (٢٢١ - ٢٤٢) ، وفي سورة النساء : الآيات  
(١٠ - ٢٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ١٢٦ ، ١٣٠ - ١٧٥) ، وفي سورة النور :  
الآيات (٢ - ١١ ، ٢٣ ، ٣٤ - ٣١ ، ٦٠) وفي سورة الطلاق : الآيات  
(٨ - ١) ] ففيهن جيئًا تفاصيل وافية عن حقوق النساء في الزوج  
والطلاق والميراث ، وفيهن تشريع كامل لمجتمع علاتهن وأحكامهن  
في الحدود والعبادات والمعاملات<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة النساء الآية ٦

(٢) يجد الباحث الصابر في مطولات كتب الفقه ، رعاية ورفقاً كبارين ،  
ومن طلب أحكام النساء في أبوابها الفقهية وأمن في تفاصيلها وخاصة حقوقها على  
الوالد والزوج والولد .. أیقن بقوه مركزها الاجتماعي والحقوقي .

هذا ما منع الاسلام المرأة من حقوق ، فهل قالت هي بوابجع  
الشكرا عليها ؟

نعم :

فتحت المرأة العربية عينها - لما أطلتها راية الاسلام - على رجال نجيب المرأة في نصر الاسلام غير الرجال ، ومجتمع غير المجتمع ، ودين غير الدين ، فكأنها نشطت من عقال ، فشرعت عن ساعدها ، وأخذت من هذا الدين الجديد نصيتها الأولى ، وكان شكرها لله عليه شكرأ عملياً .

فاست في أوله ما قاسى الرجال من عذاب وهجرة واضطهاد وأذى ، ثم اتظمت في صفوف المقاتلين إعلاه لكلمة الحق ، وذوداً عن دين الله وعن رسوله ، فقادست الرجل شرف jihad وآمنت بثوابه وكرامتها ، وليس بعد بذلك الروح غاية في الشكران .

كان للنساء بيعة في القرآن كما للرجال بيعة : ذكر الله رضاه عن الذين يبايعونك تحت الشجرة بيعة الرضوان يوم الحديبية فقال : «إنَّ  
الذينَ يبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يبَايِعُونَ اللَّهَ يدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»<sup>(١)</sup> «لَقَدْ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي  
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَاهُمْ فَتَحَاهُ قَرِيبًا»<sup>(٢)</sup> ذكر بيعة  
الرجال هذه كما ذكر بيعة النساء في قوله :

(١) سورة الفتح . الآياتان ١٠ ، ١٨

يَعْلَمُ النَّاسُ « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَارِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشَرِّكَنَّ  
بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يُسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِنَّ  
بِيُهْتَانٍ يُفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ  
فِي بَيْعِهِنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » <sup>(١)</sup>

وكان لهن هجرة كا للرجال هجرة ، وجihad كا لهم جهاد . <sup>(٢)</sup>  
ويكاد الوحي لا يذكر الرجال في مكرمة أو تشريع أو ترغيب  
أو نداء ، الا ذكر النساء معهم . وما أكثر ما تتجدد في التزييل العزيز  
أمثال قوله تعالى :

« إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاطِشِينَ وَالخَاطِشَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ »

(١) بِسْرَةُ الْمُتَضَعَّةُ ، الْآيةُ ١٢ = وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ كَانَ يَقُولُ  
لَهُنْ بَعْدَ ذَلِكَ : « فِيهَا اسْتَطَعْنَ وَأَطْقَنَ .. » فَيَقُلُّنَ : « اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بَنَاهُ  
مِنْ أَنْفُسِنَا »

(٢) كَتَبَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَرْوَرِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ : « هَلْ كَانَ رَسُولُ  
اللهِ يَنْزُو بِالنِّسَاءِ ؟ » فَكَانَ مِنْ جَوابِ ابْنِ عَبَّاسٍ : « ... وَقَدْ يَنْزُو بِهِنَ فِيدَاوِينَ  
الْجَرْحِيَّ وَيُحْذَدَيْنِ ( يَعْطَاهُنِ ) مِنَ الْقَنِيمَةِ .. » افْتَرَ تَبْيَانُ الْوَصْوَلِ ١: ٢٣٥

فروجَهُمْ وَالحافظاتِ وَالذَا كرِينَ اللَّهُ كثِيرًا وَالذَا كراتِ أَعْدَ اللَّهُ  
لَهُمْ مُفْرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا»<sup>(١)</sup>.

لقد رفع القرآن منزلاً المرأة الأدية واستنقذها من الحضيض  
وبوآها الأوج ، فبقيت في سماء المجتمع الإسلامي شيئاً مقدساً تطاول  
إليه الأنظار بالحرمة والرعاية ، حتى كان يخدمهن في بيتهن الخلفاء  
أنفسهم<sup>(٢)</sup> ، وحتى ذكروا أن عمر بن الخطاب خرج يوماً ومعه  
الناس ، فربما عجز فاستوقفته فوقه ، فجعل يحدنها وتحدنها ، فقال له  
رجل : « يا أمير المؤمنين جبست الناس على هذه العجوز ؟ » فقال :  
« وإليك أتدري من هي ؟ هذه امرأة سمع الله شكوكاً عنها من فوق سبع  
سماوات ، هذه خولة بنت مالك بن نعبلة التي أنزل الله فيها : « قد  
سمع الله قول التي تجادلك في زوجها . الآية<sup>(٣)</sup> »  
وخبر خولة هذه متم طريف ، أنت تشكو زوجها أوس بن  
الصامت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإليك حديث عائشة عنها ،  
قالت عائشة :

(١) سورة الأحزاب ٣٣ الآية ٣٥

(٢) ت سابق الشعراين أبي بكر وعمر إلى بر امرأة في جوف الليل أمر مشهور  
في التاريخ.

(٣) الإصابة : ٨ : ٦٩

استجابة الله  
شكوى امرأة

« تبارك الذي وسع سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة ويخفى  
علي بعضه ، وهي تشتكى زوجها إلى رسول الله وتقول : « يا رسول الله  
أ كل شبابي ، ونثرت له بطني .. حتى إذا كبرت سني ، وانقطع  
ولدي ، ظاهر مني . اللهم إني أشكو إليك » فا برحـت حتى نزل  
جبريل بهذه الآيات :

« قد سمع الله قول التي تجادلُكَ في زوجها وتشتكى إلى  
الله والله يسمع تحاوركم إن الله سميع بصير . والذين يظاهرون  
منكم من نسائهم ماهن أمهااتهم إن أمهااتهم إلا اللاقى ولدهم  
ولهم يقولون منكرًا من القول وزورا وإن الله لغفور رءوف »<sup>(١)</sup>  
الآن الآيات . اهـ

في هذا الجو من الاحترام والتقديس تعمت المرأة بنعمة الإسلام

(١) أول سورة المجادلة . والظاهر أن يقول الرجل لامرأته : « أنت على  
كظم أمي ، فتحرم عليه - انظر (باب النقول في أسباب التزول) للسيوطى

## الفصل الرابع

### شخصيتها الحقوقية

استطعنا حتى الآن أن ندرك المنزلة الاجتماعية السامية : التي رفع إجل خوفها بـ<sup>بننا وزوجاً لنا</sup> الإسلام إليها المرأة بعد طول إهمال وامتنان . وبقيت البلدان الإسلامية هي الأماكن الفريدة التي للمرأة فيها استقلال شخصي يحترمه القانون . وبقيت أوروبا حتى العصور القديمة تنظر إلى المرأة نظرة امتنان ورتهاب عن العصور المظلمة ، فلما تكنت حضارتها منحت المرأة حظاً غير قليل من الاحترام وإن تكون شابته أيضاً بنصيب غير قليل من الابتذال .

فاما الأمر الخطير الذي لا يزال القانون الإسلامي سابقاً فيه كل القوانين الحديثة ، فهو ما يتعلق بشخصية المرأة (الحقوقية) . لقد منحها الله منذ أربعة عشر قرناً ، حق التصرف المستقل بكل ماتملك كما منح الرجل ، لا يزيد أحدهما على الآخر شيئاً . وهذا هو الشيء الذي لا تزال قوانين

الحضارة الفرية قاصرة دون بلوغه حتى اليوم . فلنتتبع التدرج الفطري  
للأثنى في إيجانا مasicق لها من حقوق :

على والديها القيام بحسن ترتيبتها حتى تلحق بالنساء ، فإذا مات  
أحدهما كان لها من تركته حصة مقررة تستولي عليها . وعلى أيها أو  
أخيها النفقه عليها حتى تتزوج ، فإذا أدركت كان لها ملء الحرية في  
اختيار زوجها ، وليس لأي مخلوق : والدأ كان أو حاكماً أن يحد شيئاً  
من هذه الحرية التي وهبها لها الله كاملاً غير منقوصة ،<sup>(١)</sup> فإذا أصبحت  
زوجاً للرجل ، كان لكل منها على الآخر حقوق وله مثلها : « ولهم  
مثلُ الذي علَيهِنَّ بالمعروف ». وعليه النفقه عليها من ماله دون أن  
تكلف (على سبيل الوجوب) طبخاً ولا غسلاً ولا إرضاعاً ، فإذا  
صارت أمّا فقد تم لها أسمى مانظمع إليه من الاحترام والتجليل ، وعلى  
الولد أن يبذل كل وسع في مرضاها وإطاعتها ورعايتها .

وفي جميع هذه الأدوار تبقى مستقلة بما تملك لا يشار إليها حق

(١) جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت : « إن أبي زوجني من ابن أخيه  
ليرفع بي خسيسته » فحمل ﷺ الأمر إليها ، فقالت : « قد أجزت ما صنع أبي ،  
ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الآباء شيء ». أه أرادت هذه الفتاة أن  
تعلم النساء والرجال مما أن الشريعة لم تجعل للوالد حقاً ما في أن يكره ابنته على  
الزواج من لا ترضى .

التصرف فيه مشارك لازوج ولا أخ ولا والد . ولها نصيب مفروض — على حسب عدد الورثة ودرجة قراباتهم — من ميراث الأب والأخ والزوج والولد<sup>(١)</sup> ، كما أن مهرها حق خالص لها تصرف فيه تصرفها بغير أنها وملكيتها .

**ولايته على أموالها وعقودها المدنية :**

مضى على المرأة المسلمة (١٣٦٤) عاماً وهي لا تختلف عن الرجل في شيء ، فيما يتعلق بمارسة الحقوق المالية وإليك في ذلك هذا النص الشرعي من كتاب فقهه حديث :

« سُوئي الشارع بين الذكر والأئمَّة في الولاية على المال والعقود ، فتى بلغت المرأة سن النكاح وهي رشيدة ، كان لها أن تصرف بأموالها مستقلة بجميع التصرفات القوية والفعالية ، وأن تعقد عامة العقود المدنية من يمع وشراء وإيجارة وشركته ومساقاة ومزارعة وقراض ورهن وعارية ووديعة وهبَّة ووصية ووصاية وغيرها ، وأن توكل فيها من شاءت أو تتوكل بها ، وليس لأبيها أو زوجها ولا لغيرها أن يتدخل في ذلك لقوله تعالى :

(١) لانحول الأنظمة المسبحية للأم حقاً شرعاً ما على ولدها ، فقد يكون من ذوي الملايين فيساعدها — إن شاء — تبرعاً ، فإذا مات فلا حق لها في تركته البنتة — السيد أمير علي ص ١٤ مركز المرأة في الإسلام .

«وابتلوا اليتامي حتى إذا بلغوا النكاحَ فانْ آنسُمْ منهم رُشِدًا  
فادفعوا إِلَيْهِمْ أموالَهُمْ»<sup>(١)</sup> وهذا مذهب إِلَيْهِ جمهور الأئمَّة والعلماء<sup>(٢)</sup>  
ولها إِضافة على ما تقدم كله حق التقاضي مع خصوصها على قدم المساواة  
بالرجل .

نكبة رجبة حديثة هذا وإن أُعجب لشيء فلتلك النكسة الرجعية التي يبتلي بها التقليد الأعمى عبيده : لقد تعمت المرأة العربية بحريتها الكاملة في التصرف بأموالها ، في كل الأقطار والأعصار ، إلا أن بعض المشرعين في أحد البلدان العربية اليوم ، قدّرت همّهم دون أن يبنوا التشريع المكفلين بوضعه ، على أساس مستمدّة من عادات الوطن وروحه وتعالييه وتاريخه ، واندفعوا بكل حماسة إلى نسخ قانون أجنبي بمحذاته ، قانون وضع في بلد غير بلدنا ، ولامة غير أمتنا ، ولا عبارات محلية وتاريخية ودينية لا وجود لها عندنا بتة ، كان التشريع لا يكلف القائم به أكثر من (شحنة تجارية بالبريد) ، فكان من هذا التجاهل للأصول التي ينبغي أن يستمد منها كل تشريع ، أن حرمت المرأة العربية في هذا القطر من (الأهلية التجارية) إذا لم يأذن زوجها . وإذا

(١) سورة النساء الآية ٥

(٢) حقوق المرأة المسلمة للشيخ نديم الملاح ص ١١٨

**سألت عن السبب في هذه الرجعية الدسمية لم تجد جواباً غير أن القوانين الفرنسية (الحديثة !!) التي طلبت بالبريد هكذا جاءت !!<sup>(١)</sup>**

(١) حضرت المؤتمر الأول للمحامين العرب بدمشق الذي عقد في صيف السنة الماضية (١٩٤٤ م) وكانت هذه القضية من أشد ما تأثر السخط والاستنكار والرقة في نفوس الأستاندة المستمعين . وإليك نصها كما جاء في محاضرة الاستاذ محمد صالح بك عميد كلية التجارة في الجامعة المصرية ، منقولاً عن مجلة نقابة المحامين بدمشق

ص ٣٣٩ - ٣٤٠ :

سنة ١٣٦٣ = ١٩٤٤ م

... يجب ألا تقع في الأخطاء التي وقع فيها أسلافنا فتنقل قانوناً أجنبياً برمته دون أن تدبر أحکامه وتفهم مراميه .. [ ثم ذكر شاهداً : نصاً قانونياً فرنسيّاً وضع لأسباب تاريخية محلية فنقل إلى القانون المصري تقلاً حرفاً ولم يكن شيء من الأسباب المذكورة قائماً في مصر ] ص ٣٤٠ .. كذلك مانص عليه قانون التجارة اللبناني في المادة ١١ من «أن المرأة المتزوجة منها تكون أحکام القانون الشخصي الذي تخضع له لامتلك الاهلية التجارية الا اذا حصلت على رضى زوجها الصريح أو الضمني .. »

والمفهوم من هذا النص أن المشرع تعمد الإخلال بالقاعدة المقررة في الشريعة الإسلامية وهي تساوي المرأة والرجل في الحقوق المدنية والتجارية . فلأنّ المرأة المسلمة لها ذمة مستقلة عن ذمة زوجها ، ولها أن تصرف في أموالها بلا حاجة إلى الحصول على إذنه .

فهل تدبر المشرع اللبناني ما في هذا الحظر من تناقض ، إذ يترتب عليه أن المرأة المسلمة يتمنع عليها التصرف في أموالها المنقوله بدون إذن الزوج . وعندني أن تساوي المرأة مع الرجل في الحقوق هو قاعدة من قواعد النظام العام في الأقطار العربية ولا يملك المشرع العادي الإخلال بها . اه

وهي لا تزال تحرم المرأة ممارسة حقوقها المالية حتى الآن !!<sup>(١)</sup>  
 ولا أظن إلا أن رجال القانون في هذا القطر سيفضبون المرأة أولًا  
 ولسمعة بلدتهم القضائية ثانيةً فيزيلاً هذا الخطأ المعيوب من قوانينهم .

\* \* \*

لابد لها قضاة . لم يكتف (الشارعون) في البلاد الإسلامية بهذا السمو في  
 تقديره (حقوقية) المرأة ، بل بالغوا فطلبوا لها حتى مala توهلها  
 فطرتها في الغالب ، لقد شرعوا لها أن تكون قاضية : فأجاز أبو  
 حنيفة قضاها في الأموال ، ثم جاء الإمام الطبرى فأجاز قضاها  
 وحكمها في كل شيء : الأموال وغيرها<sup>(٢)</sup> . وهو شيء لا سبيل إلى  
 أن تحل به المرأة الأوروبية والأميركية حتى اليوم . أما اللائحة  
 مارسن شيئاً أكبر من القضاة فهن قليلات ، وإن التاريخ ليذكر أسماء  
 سيدات محترمات أدرن ملكاً وهن وصيات على أولادهن فكن أمثلة  
 تختذلى في حسن التدبير وكمال العقل وسمة الحيلة وبعد النظر .

(١) نشرت مجلة (المختار من ريد رز) بجاست - الطبعة العربية ) في ص ١٠٣ من عدد سبتمبر سنة ١٩٥٧ أنه بعد الحرب العالمية الثانية « أصدرت جمهورية بون دستوراً منح فيه المرأة المتزوجة لأول مرة الحق القانوني في اقتناة الممتلكات » !!  
 (٢) ذكر السيد أمير علي في محاضرته أن هذا الحكم قد عمل به ، أي نصب بعض النساء قاضيات فقضين بين الناس في القرن الثامن المسيحي - (مركز المرأة في الإسلام - مطبعة زخور) ولم أدر مصدر السيد الذي اعتمد عليه في ذلك ، ولا في أي بلد كان هذا ؟ ولست أستبعده .

## الفصل الخامس

### جهاد الرسول في سبيل المرأة

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتُسْكُنُوا إِلَيْهَا  
وَجَعَلَ بِيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَأْتِي لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»<sup>(١)</sup>

أراد صاحب الشريعة الإسلامية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتعمد بنفسه ما تبقى من آثار الجاهلية ونظرها إلى المرأة فيقضى عليه . والتشريع تكفل بكل ما يتعلق بمعاملتها ، وكاد لا يقي على شيء من الفكرة الجاهلية نحو المرأة . ولكن كيف السبيل إلى استئصال ما لا تشعر به النفوس ، وما لا سبييل إلى اجتنانه بتشريع : كمبل الوالدين إلى الذكر أكثر من الأثني : هذا الشيء الذي قدمنا أنه مر كوز في غرائز الناس كافة .

ذلك ما عالمه أحكم من تجرد لطلب النفوس ، وأبصر خلق الله في دأبه ودوافعها . فقد رأى الناس من عمل الرسول نفسه وسمعوا من

(١) سورة الروم الآية ٣٠

كلامه في هذا الموضوع ما بعث نقوسهم إلى التنزيه عن البقايا الجاهلية الضئيلة ، فتسابقت وتحمسوا لإعزاز الأشى وإكرامها حتى تأصل في النفوس برها والخذب عليها ، وقر فيها احترامها وتفضيلها ، وإليك ماتلمسه من آثار هذا الانقلاب التأثير الحكيم :

كان الناس يترسمون في معاملة أزواجهم ما يفعله النبي ، وكان <sup>معاملته أزواجه</sup>  
<sup>واحتجاج النساء</sup>  
<sup>عليه</sup> معهن <sup>لبن</sup> الجانب حلو العشرة سهل المقادمة كمن يراجنه <sup>(١)</sup> في كثير من أموره ، ويرددن عليه حتى صرن قدوة يقتدي بها بقية النساء ؛ فإذا أنكر زوج حق زوجته في مراجعته احتجت عليه بعمل الرسول فأسكنته وما أطرف حديث عمر بن الخطاب يقص فيه ماجرى له معهن ، ويصف هزيته وكيف انكسر لهن ، على رغم شدته وغلظته ، قال :

« والله <sup>(١)</sup> إن كنا في الجاهلية ما نهد للنساء أمرًا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ما قسم ، فيينا أنا في أمر آخره إذ قالت لي امرأتي : « لو صنعت كذا و كذا » فقلت لها : « وما لك أنت ولما هنا ؟ وما تكلفك في أمر أريده ؟ » فقالت لي : « عجبًا لك يابن الخطاب ، ما ت يريد أن تراجع أنت وإن ابنتك (تعني السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين) لتراجع رسول الله حتى يظل يومه غضبان » فأخذ

(١) السبط الثمين ص ١٨٣

رداًني ثم أخرج مكاني حتى أدخل على حفصة ، فقلت لها : « يابنية إنك لترأجين رسول الله حتى يظل يومه غضبان ؟ » فقالت حفصة : « والله إنا لزاجعه » فقلت : « تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله وغضبه رسوله . . . » ثم خرجت حتى أدخل على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت لي « عجبالله يابن الخطاب : قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه ؟ » فأخذتني أخذًا كسرني به عن بعض ما كنت أجده ، فخرجت من عندها . »

تم للمرأة – على الزمان – من المكانة ما صارت معه تجبر على إيمانه التي من أجراه إمساك  
ال المسلمين فيحترمون جوارها . ذكرت ذلك عائشة فقالت : « إن كانت المرأة تجبر على المؤمنين فيجوز . » وقد أجارت أم هانىء بنت أبي طالب رجلين من المشركين من أحماهها كانوا أسيرين ، فأجاز الرسول جوارها قائلاً : « أجر نامن أجرت وأمئنًا من أمئنت يا أم هانىء » وهو حديث مشهور .<sup>(١)</sup>

وهل على من جناح إذا أنها وقتك في حادث طريف ، على تلك الحرية التي متع الله بها المرأة العربية في الإسلام فارستها أوسع ممارسة ؟ إنه حادث (غرامي) ولست أخرج من ذكره لك هنا فان رسول الله نفسه كان شفيعاً في هذا الحادث للمحب الوهان :

(١) انظر تفصيل هذا الخبر في سيرة ابن هشام عند كلامه على غزوته الفتح الأعظم ٣٤٠ (الطبعة القديمة) وذخائر العقبى في مناقب ذوى القرى ٢٢٣ ص .

جاربة ضعيفة مملوكة اسمها (بريرة) وزوجها عبد أسود اسمه مفيث  
كان شديد التعلق بها ، اشتربت عائشة الجاربة فأعتقتها ، فلما اعتقت  
كان لها اختيار بعفوي الشرع بين أن تبقى عند زوجها أو ترتكب وتعتد  
منه ، فلما خيرها الرسول ، اختارت نفسها وتركت زوجها . فقامت  
قيامة هذا الزوج المسكين وهام في سكك المدينة يطوف وراءها ويبيكي  
وإن دموعه لتسخادر على لحيته، يتراضاها وهي تقول : « لاحاجة لي فيك »  
وبلغ ذلك الرسول عَزَّلَ اللَّهُ فرقاً له وقال لبريرة : « لو راجعيته » فقالت :  
« أنا مرني ؟ » ، « أشي واجب علي ؟ » فقال : « إِنَّمَا أَنَا شافع » فقالت :  
« لاحاجة لي فيه » فجعل النبي يعجب وقال للعباس :

«ياعباس ألا تعجب من حب مفتيث لبريرة وبغضها له ١٩»<sup>(١)</sup>  
وهكذا اعتذرت هذه الجارية عن قبول شفاعة النبي نفسه، ممتنعة  
بحريتها القانونية بعد تمعن ، وكان صنع الرسول هنا إقراراً عملياً  
لهذه الحرية .

وأبىء هذا المسعى في رفع شأن المرأة حتى آتني أكله ورأى النساء أنفسهن والرجال سواسية ، حتى اعتذرن بأنفسهن الاعتزاد كله ، وحتى قالت عائشة : « إنما النساء شقائق الرجال . » وعائشة ايمها القارىء زعيمه الآخذين بناصر المرأة والمنافحين عنها بلا منازع ، وإليها وحدها

(١) صحيح البخاري ، ومسند أحمد ٨١ / والاجابة لا يراد ما استدر كنه  
عائشة على الصحابة من ٩٤ والسمط الثمين ١٨٢ .

تطلع أبصار المستضعفات ، لما تم لها من المكانة الكبيرة في العلم والأدب والدين ، حتى تقطعت دون مقامها الاعناق ، وكانت أستاذة لشيخة الصحابة الأجلاء في كثير من أمور العلم والدين . ولبث الخلفاء الراشدون يرعون منزلتها ويشاورونها ويسألونها المسائل ويرجعون إلى رأيها ، وهي واقفة بالمرصاد لكتابهم : تصحح لهم كلما رأت خطأ في حديث يحدثون به أو حكم يصدرونه . وقد ألف الزركشي كتاباً قائماً برأسه ، كسره على الأمور التي استدركتها على أعلام الصحابة . ولا بأس بغير اد استدرك واحد -- على سبيل المثال -- على عبد الله بن عمرو بن العاص أودعه نكتة لاذعة ، كثيراً ما كانت ترسل أمثلها في استدراكها عليها :  
 بلغها أن ابن عمرو هذا يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن ، فقالت : « ياعجبًا لابن عمرو : يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن أفلأ يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ؟ ! .. لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله من إناه واحد وما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات .. »<sup>(١)</sup>

أما إذا تعلق الأمر بكرامة المرأة ولو من بعيد ، فيالمول مايلقى المخطيء من عنفها ، وإذا لا يقوم لنفس السيدة شيء : دخل عليها رجالان فقالا : « إن أبا هريرة يحدث أن النبي الله كان يقول : « إنما الطيرة في

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ١٢٣ .

المرأة والدابة والدار» فطارت شقة منها في السماء وشقة منها في الأرض  
وقالت : «والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول ،  
إنما قال . كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدابة والدار<sup>(١)</sup> ».  
وبلغها عن أبي هريرة — وكم كان يلقى من عائشة — أنه قال : « قال  
رسول الله ﷺ « يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب ». فقالت  
عائشة معنفةً مصححةً : « شبهمونا بالحمير والكلاب . والله لقد رأيت  
رسول الله يصلي وأنا على السرير بيته وبين القبلة مضطجعة فتبعدوني  
المذاكرة فأكره أن أجلس فأؤذني رسول الله، فأنسنل من عند رجليه<sup>(٢)</sup> ».  
فيخضع الأصحاب لفتواها ، ويزيدونها على الزمن اجلالاً .

وإلى السيدة عائشة يرجع الفضل الأكبر — بعد رسول الله — في  
إعظام الناس المرأة الاعظام اللاقية ، حتى ظهر كثير من اللائي طمحن  
إلى اقتداء أثرها في الشجاعة الأدية والجرأة ، وحتى قالت بعد ذلك  
القائلة — وسئلتها عن زوجها — : « زوجي من أنا بعله ». <sup>(٣)</sup>

(١) المصدر السابق ص ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق ١٧٠

(٣) لهذه القائلة خبر طريف يفيدنا في موضوعنا ولا بأس في سرده : مات  
كثير عزة الشاعر المشهور ، فما تخلفت امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازته ، وغلب  
على الجنازة النساء ي يكن ويذكرون عزة في ندبهن له ، فقال الإمام محمد الباقر : « أفر جوا  
لي عن جنازه كثير لأرقها ، فجعل الناس يدفعون النساء عنها وجعل الباقي يضرهن —

ولم يأْلُ الرسول في بث حكمه النالية في قلوب الأصحاب وصيَّةً <sup>أقوال كريمة في</sup>  
وصيَّة بالمرأة بالمرأة  
بالنساء، كلما آنس داعيَا إلى القول. واستفاضت هذه الأحاديث  
استفاضة شافية توصي بالمرأة أمّا، وتوصي بها زوجاً، وتوصي بها  
بنتاً، وتوصي بها جنساً :

فأمّا الوصيَّة بها أمّا فقد نزل بها الروح الأمين بهذه الآية المؤثرة  
المعجزة : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلَاَ تَبْدُوا إِلَيْاهُ ، وَبِالوَالِدِينِ إِحْسَانًا :  
إِمَّا يَلْعَنَنَّ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كُلُّهُمَا فَلَا تَقْلِيلٌ لَهُمَا أَفَ لَا  
تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قُوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفُضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ  
الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبُّ أَرْجُهُمَا كَمَا رَأَيْتَنِي صَغِيرًا <sup>(١)</sup> ».

— بكمه ويقول : « تتحين يا صواحبات يوسف » فاتتدبت له امرأة منهن فقالت :  
« يابن رسول الله لقد صدقتي ، إننا لصواحبات يوسف وقد كان له خيراً منكم له ». . .  
فأمر الباقر أحد مواليه أن يحييَّها بها بعد الانصراف من الجنازة ففعل ، فرأى  
الباقر امرأة كأنها شرارة النار فقال لها : أنت الفائلة : إنكِن لي يوسف خير منا »  
قالت : « نعم ، تؤمني غضبك يابن رسول الله ». قال : « أنت آمنة من غضبي  
فأأيني » قالت : « نحن يابن رسول الله دعواناه إلى اللذات من الطعم والشرب والتمنع  
وأنتم معاشر الرجال أقيتموه في الجب وبتموهو بأبخس الأمان ، ثم جبستموه في  
السجن . فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟ » فقال الباقر : « الله درك ، ولن تقابل  
امرأة إلا غلبت » ثم قال لها : « ألك بعل ؟ » قالت : « لي من الرجال من أنا بعله ! »  
قال : صدقتك ، مثلك من تملك بعلها ولا يلوكها » وكانت هذه المرأة زينب بنت ميسقب  
— الأغاني ٣٧/٩ طبعة دار الكتب . وليس بين هذا الحادث وموت عائشة أكثر  
من نصف قرن .

(١) سورة الاسراء ، الآياتان : ٢٤ ٣٣ .

«وَصَنَّا لِلنَّاسَ<sup>١</sup> بِوَالِدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَّاعِلِي وَهُنْ وَفِصَالُهُ<sup>٢</sup>  
فِي عَامِينَ : أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِينِكَ إِلَيَّ الْمُصِيرَ<sup>(١)</sup> .

ومع هذا البيان الشافي لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام  
ليترك فرصة دون أن يتهزها لشرح هذه المنزلة المالية التي يوصي الله  
الأم إياها :

جاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ  
مَنْ أَحَقُ النَّاسَ بِالْحَسَنِ صَحَابِي ؟ » قَالَ « أُمُّكَ » ، قَالَ : « ثُمَّ مَنْ ؟ »  
قَالَ « أُمُّكَ » قَالَ : « ثُمَّ مَنْ ؟ » قَالَ : « أُمُّكَ » قَالَ : « ثُمَّ مَنْ ؟ »  
قَالَ : أُبُوكَ<sup>(٢)</sup> .

وتكرر مثل هذه الوصاية في السنة المطهرة ، فروى البخاري في  
(الأدب المفرد) والأمام أحمد وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال :  
« إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأَمْهَانِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأَمْهَانِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأَمْهَانِكُمْ  
ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ<sup>(٣)</sup> » .

وليس على الأرض مسلم إلا وهو يستشهد على حرمة الأم بالكلمة  
الجامعة المشهورة : « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

(١) سورة لقمان ٣١ الآية ١٤ .

(٢) رياض الصالحين ص ١٤٤ (سنة ١٣٥١ هـ) .

(٣) نداء للجنس اللطيف للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله ص ١١٨ .

وأما الوصية بها زوجاً فانظن أن هناك منزلة للزوجة أسمى (إنسانية) من منزلة رفعها إليها الإسلام، وصحبها النظرة المعاكسة التي كانت عند الجاهليين فاقرأ إن شئت:

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»<sup>(١)</sup>

وهل ينسى مسلم أو عربي هذه الأقوال النبوية الرائعة:

«خَيْرُكُمْ خَيْرٌ كُلُّ أَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرٌ كُلُّ أَهْلِي»<sup>(٢)</sup> ،

«مَا أَكْرَمَ النَّسَاءُ إِلَّا كَرِيمٌ وَلَا هُنْ إِلَّا ثَيْمٌ»<sup>(٣)</sup> .

«أَكْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِعْنَانًا أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرٌ كُلُّ نَسَاءٍ»<sup>(٤)</sup> ،

وكان بعض الصحابة يضربون نساءهم - استمراراً لعادات الجاهلية -

فسكوتهم عند أزواج النبي ﷺ . وأراد النبي أن يبطل هذه العادة

الجاهلية باللطف والحكمة فكان مما قال لأصحابه:

«... ولقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكرون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الروم ٣٠ الآية ٢١ ، وبعد أنني عشر قرناً من زرول هذه الآية تراجع الأوروبيون عن نظرتهم إلى المرأة ، فاعترفوا أخيراً بأنها إنسان ، وأنها مخلوق غير لين. ثم جاؤوا اليوم برجون الابتسال والخلاعة وتمهيد الأسر وخراب البيوت ... باسم : حرية المرأة ١١

(٢) نداء للجنس الطيف ص ١٣٣ عن الترمذى.

(٣) رياض الصالحين ص ١٣٣ وستأتي الوصية بالبنات ثم بجنس النساء عامة بمدقلىل.

ولست أطيل في ذكر ما أوصى الإسلام بالمرأة ، فما قدمت من الآيات البليغة والأحاديث ، فيه الكفاية . وإنما أريد أن أبني إلى الافتتان الذي افتنه الرسول عليه الصلاة والسلام في انتزاع ما بقي في نفوس العرب من كره البنات ، وكيف غرس مكانه العطف عليهن والعناية بهن . لقد كانت سيرته مع أزواجها وبناته وأولاد بناته عجباً من العجب ، رأى فيها الأصحاب مآفاص عليهم الرحمة والخنان لهن ، فعشقوا منه هذا المثال وجروا عليه :

١ - قبل رسول الله صرفة ابن بنته الحسن بن علي ، وعنده الأقرع ابن حابس أحد أشراف البدارية ، فلم يعجب الأقرع مارأى ، ولعله عاب هذه الرحمة التي فاض بها قلب النبي حين قال : « إِن لِي عِشْرَةً مِن الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا » فنظر إليه رسول الله ثم قال : « مَن لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ » ، « أَوْ أَمْلَكَ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ »<sup>(١)</sup> ؛ وهكذا آذن النبي قسوة الجاهلية حرباً لاهوادة فيها إلا أن تُنتزع انتزاعاً وتحل محلها الرحمة الخالصة .

٢ - وأمره من عائشة رضي الله عنها كالشمس شهراً ، وكان أصحابه يعاينون عطفه عليها وهي بنت تسع وتأمل هذا المشهد الحنون المؤثر الذي تقصه السيدة نفسها على الرجال فيما بعد ليقتدوا بهدي الرسول في الرفق بالإناث ، قالت :

(١) تيسير الوصول ١١٣/٢ وقد سبق مثل هذا الحديث ص ٢٩٠

«والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجري والجبلة  
يلعبون بالحرب ، ورسول الله يترنّى بردائه لأنظر إلى لعهم من بين  
أذنه وعاتقه ، ثم يقوم من أجلِي حتى أكون أنا التي أنصرف ، فاقدروا  
قدر الجارية الحديثة السن الحريضة على الله . »<sup>(١)</sup>

٢ - حدثت أيضًا تقول : «دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها  
تسأل ، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة ، فأعطيتها إياها فقسمتها  
بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي ﷺ  
 علينا فأخبرته فقال :

«من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا  
من النار . »<sup>(٢)</sup>

هذا عمله فأما أقواله التي لمست قلوب أغلفظ الناس أكباد أفحجرت  
منها ينابيع رحمة وحنان فهذه أمثلتها :

١ - «من كان له ثلاثة بنات فصبر عليهن كن له حجاباً من النار من جوامع كلها  
في ذلك

<sup>(٣)</sup> يوم القيمة »

(١) مسند أحمد ٦٦٦ والجزء الذي حققه وأصدره منذ أيام من (سير  
النبلاة) المذهبي مخصوصاً بترجمة السيدة عائشة ص ٣١ .

(٢) رياض الصالحين ص ١٢٩ عن البخاري ومسلم .

(٣) البخاري في الأدب المفرد ص ١٣ .

- ٢ — من عال ثلات بنات أو ثلات أخوات أو أختين أو بنتين  
فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة . » <sup>(١)</sup>
- ٣ — من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذتها فأحسن غذاءها  
وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنتة وميسرة من  
النار إلى الجنة . » <sup>(٢)</sup>
- ٤ — من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيمة أنا وهو كهاتين  
(وضم أصابعه) » <sup>(٣)</sup>
- ٥ — ساواوا بين أولادكم في المطية ، فلو كنت مفضلاً أحداً  
لفضلت النساء » <sup>(٤)</sup>
- ٦ — « اللهم إني أحرج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة . » <sup>(٥)</sup>

(١) تيسير الوصول ٤٩ وقال : أخرجه أبو داود والترمذى .

(٢) الخراطي في مكارم الأخلاق ص ٧٠ — والحديث ضعيف من حيث  
السند ، إلا أن متنه ينسق هو وبقية الأحاديث الصلاح .

(٣) رياض الصالحين ص ١٢٩ عن مسلم .

(٤) الجامع الصغير نقل عن الطبراني والخطيب وهذا الحديث كسابقه <sup>(٣)</sup> من حيث  
الدرجة وهو مروي عن ابن مسعود .

(٥) رياض الصالحين ص ١٣٠ عن أبي داود بإسناد جيد .

٧ - «من كانت له أثني فلم يندها ولم يهناها ولم يؤثر ولده عليها ،  
أدخله الله تعالى الجنة »<sup>(١)</sup> .

فانظر حسرة الرسول على ما كان يفعل بالبنات ، وما فاض به قلبه  
من رحمة عليهم في أوجز لفظ وأبلغه أثراً في النفوس .

ولقد كانت حياته كلها مدرسة يتعلم فيها الأصحاب حسن رعاية آخر وما ي  
الرسول النساء والقيام بحقوقهن ... حتى إذا كان العام الأخير من عمره ،  
وكان حجة الوداع ، واجتمع في الموسم من العرب ما لم يجتمع مثله  
قبل ذلك قط ، وألقى الرسول ﷺ خطبة الوداع التي أوصى فيها  
المسلمين وهي آخر ما عاهده الناس من خطبه في الحج ... ، كان الرفق  
بالنساء والوصاية بهن من أول ما قرر في اسماع قبائل العرب ، حتى إذا  
نزغ بهم فيما بعد ، نزغ من جاهلية فأرادوا أن يقسوا على هذا الخلق  
الضعيف .. ذكروا أنه وصية رسول الله وعهده إليهم ، وقرع اسماعهم  
جملته البليغة التي برزت في خطبة الوداع ، وهي قوله :  
« ... ألا فاستوصوا بالنساء خيراً »<sup>(٢)</sup> .

هذا ما أردت الإمام إليه من حال المرأة في الجاهلية والحال التي  
سمت إليها في الإسلام ، شرحته ليكون بأيديينا مصباحاً نزد به الحجة  
آخر تعليه في  
نفريج النساء  
المجلبات

(١) تيسير الوصول ١ / ٤٩ .

(٢) رياض الصالحين ص ١٣٢ وقال آخر بره الترمذى وقال : حديث حسن  
صحيح - وسيرة ابن هشام ٤١٦ / ٣ ( الطبعة القدية ) .

في نهضتنا الاجتماعية ، على نور وبصيرة . وأظنك بعد هذا لا تستكتر على من دانوا بهذا الدين ، وتخربوا بتلك التعاليم ، أن يكون لهم ذلك العدد الـثـرـ من النساء الجليلات ، اللواتي فـقـنـ كـثـيرـاـ من خـوـلـ الأمـ في التـرـيـةـ وـالـإـلـاصـلـاحـ وـالـبـطـولـةـ وـالـعـلـمـ وـالـأـدـبـ وـالـدـيـنـ وـتـخـرـيـجـ الرـجـالـ .  
 نـعـمـ ، لـيـسـ مـنـ الـكـثـيرـ أـنـ يـكـونـ لـنـاـ تـارـيـخـ نـفـمـ بـثـبـتـ حـافـلـ مـنـ  
 أـعـلـامـ النـسـاءـ : أـمـثـالـ أـمـهـاتـ المـؤـمـنـينـ وـالـصـحـaiـاتـ وـمـنـ وـلـيـهـنـ في  
 مـيـادـيـنـ الـعـلـمـ وـالـتـرـيـةـ وـالـأـدـبـ وـالـشـعـرـ . . . وـحتـىـ الـجـهـادـ وـالـإـدـارـةـ  
 وـالـسـيـاسـةـ وـإـنـ مـاـ تـعـجـزـ عـنـهـ الـعـصـبـةـ أـوـلـوـ الـقـوـةـ ، استـقـصـاءـ الـمـرـيـاتـ  
 وـالـأـدـيـاتـ وـالـشـاعـرـاتـ وـالـمـحـارـيـاتـ وـالـطـبـيـيـاتـ . . . الـلـائـيـ طـفـحـ بـهـنـ  
 تـارـيـخـ الـعـرـبـ ، ذـلـكـ شـيـءـ يـسـتـعـصـيـ عـلـىـ الـحـصـرـ . . . وـلـوـ ذـهـبـ باـحـثـ  
 يـسـلـسـلـ تـلـكـ الـحـلـقـاتـ الـتـيـ اـحـتـلـتـ أـوـلـاهـاـ عـائـشـةـ وـأـسـمـاءـ وـفـاطـمـةـ وـخـوـلـةـ  
 وـغـزـالـةـ وـالـخـنـسـاءـ . . . وـمـنـ تـابـعـ مـنـهـنـ مـنـ لـدـنـ عـصـرـ الرـسـوـلـ إـلـىـ يـوـمـ  
 النـاسـ هـذـاـ ، مـاـ كـفـاهـ عـمـرـهـ وـإـنـ طـالـ .

## الباب الثاني

### أمهات المؤمنين

«النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجهُ أمهاً لهم ..»  
 «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنَّ كُنْتُنَّا تَرِدْنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
 وَزِيَّنَاهَا فَمَا تَنْعَمْنَ أَمْتَسْكُنَ وَأَسْرَ حَسْكَنَ سَرَاحًا جَيْلَا . وَإِنَّ  
 كُنْتُنَّا تَرِدْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْدَ الْمُحْسِنِينَ  
 مُنْكِنٌ أَجْرًا عَظِيمًا .»

يَانِسَاءُ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِي مِنْكُنَ بِفَاحِشَةٍ مِّبْيَثَةٍ يَضَعُفُ لَهَا الْمَذَابُ  
 ضَعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا .  
 وَمَنْ يَقْنَتْ مِنْكُنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَمْلِ مَصْلَحًا نَّوْتَهَا أَجْرَهَا  
 مَرْتَنَ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رَزْقًا كَرِيمًا .

يَانِسَاءُ النَّبِيِّ لَسْتَ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيَّنَ فَلَا تَخْضُنَنَ  
 بِالْقَوْلِ فَيُطْمَعُ الْذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقَلَنْ قَوْلًا مَعْرُوفًا  
 وَقَرْنَ فِي بَيْوَتَكَنَ وَلَا تَبْرُجْ الْجَاهِلِيَّةَ الْأُولَى وَأَقْنَ  
 الصَّلَاةَ وَأَتَنَ الزَّكَاةَ وَأَطْمَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكَ  
 الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطْهَرَكَ تَطْهِيرًا .»

وَأَذْكُرُنَ مَا يَتَلَقَّلُ فِي بَيْوَتَكَنَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحَكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ  
 كَانَ لَطِيفًا خَيْرًا .»

سورة الأحزاب : الآيات ٦ ، ٢٨ - ٣٤

هذا هو القول الكريم ، الذي ترددت محاريب المسلمين منذ أربعة عشر قرناً وستظل ترددت إلى قيام الساعة ، يسمعه المؤمن فيتملىء صدره

إعظاماً وإجلالاً : لمن شاركَنَ الرسول في ضرائه وسرائه ، وصبرنَ معه على شظف العيش وكتابَ الزمان ، وتحملنَ معه صروفَ الأذى وخففنَ عنه ما يجد من آلام في سبيل الدعوة إلى الله .

ظللتَ يوْمَنَ مهابطَ الْوَحْيِ والرَّحْمَةِ وَالْمَهْدِيَ مدةً حِيَاةَ عَلَيْهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، فَلَمَّا اتَّقَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ ، بَقِيتَ هَذِهِ الْبَيْوتُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ يَقْصُدُونَهَا مَتَّلِمِينَ مُسْتَقْتِينَ ، أَوْ مُلْجَئِينَ مُسْتَغْيِئِينَ ، فَكَانَتْ تَهْدِي الْخَاطِئَ ، وَتَعْلَمُ الْجَاهِلَ ، وَتَحْمِيَ الْمُتَجَبِّيَ ، وَتَنْجِدُ الْمُسْتَنْجِيَ ، وَلَبِتَ النَّاسُ جَمِيعاً عَلَى اختِلافِ طبَّاقِهِمْ : الْخَلْفَاءُ فَنْ دُونَهُمْ يَخْضُعُونَ لِأَزْوَاجِ الرَّسُولِ خَضْوَعَ الْأَبْرَارَ لِأَمْهَاتِهِمْ .

لَقَدْ رَفَعْنَاهُ اللَّهَ إِلَى مَقَامِ تَنْدِقِ دُونِهِ الرَّقَابَ وَأَحَاطَنَاهُ بِرِعَايَةِ وَتَقْدِيسِ أَذْعَنْ لَهُمَا كُلُّ مُسْلِمٍ ، فَكَنْ بِذَلِكَ طبَّقةً مُتَمِيَّزةً لَا يَفْضُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ . وَكَانَ مِنْ رِحْمَةِ اللَّهِ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ : أَنْ طَالَ عُمُرُهُنَّ بَعْدَهُ ، فَنَقْلَنَ لِأَمْتَهِ كَثِيرًا مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ وَخَاصَّةً فِيمَا لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ إِلَّا النِّسَاءُ ، فَمِنْ طَرِيقِهِنَّ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَحْوَالَهُنَّ الْمُنْزَلِيَّةَ ، وَعَنْهُنَّ رَوَوْا كَثِيرًا مِنِ السُّنَّةِ الَّتِي لَوْلَا هُنَّ لَضَاعَتْ ، وَكَانَتْ يَوْمَنَ بَعْزَلَةِ مَدَارِسِ مُفْتَحَةِ الْأَبْوَابِ يَتَعَلَّمُ فِيهَا النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ دِينَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ .

## الفصل الأول

### في أزواجه وسبب تعددهن

لبيت رسول الله طول مقامه بـمكة ولم يتزوج إلا السيدة خديجة ، فلما هاجر إلى المدينة واتسع عمله ونشأت العلاقات المدنية بينه وبين القبائل ، استدعى ذلك أن يصهر إلى عدد منها ، فكان جملة من دخل بهن إحدى عشرة ، اثنتان منهن توفيتا في حياته وهما خديجة وزينب بنت خزيمة أم المساكين ، والتاسع الباقي توفي عنهن ، وهذه أسماؤهن مرتبة على حسب دخوله بهن :

١ - خديجة بنت خوبلد بن عبد العزى بن قصي بن كهرب : أشرف سيدات مكة وأثراهن . تزوجها قبل رسول الله رجلان أما الأول فهو عتيق بن عابد المخزوي فولدت له حارنة ، ثم مات عنها فتزوجها أبو هالة مالك بن النباش فولدت له ولداً وبنتاً ثم مات عنها . وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات ثروة وشرف تستأجر الرجال

في تجاراتها ونضارتهم عليها ، فلما عرفت رسول الله وما اشتهر به من  
أمانة وعفة ، استأجرته في تجارة لها إلى الشام مع غلامها ميسرة ،  
فحمدت خديجة خصاله ورغبت في نكاحه ، ولما خطبها رسول الله  
كان عمره خمساً وعشرين سنة وعمرها هي أربعون سنة . وبقيت عنده  
حتى ماتت ولم يتزوج عليها ، وجميع أولاده عليهم السلام منها وهم عانيا : القاسم  
والطيب والطاهر وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة <sup>(١)</sup> ، إلا  
إبراهيم فن السيدة ماريا القبطية .

ولقد قامت في عون رسول الله لما بعثه الله ، مقاماً محموداً كان له خير  
الأثر في التخفيف عن رسول الله ، يجذب في كنفها المواساة والمؤدة  
والعطف ، وتبعد فيه القوة على الدعوة إلى الله ، فإذا ضاق صدره  
عليهم السلام من تكذيب قريش له وايذائهم وعدوائهم رجع إلى بيته حيث  
يجذب من خديجة خير عزاء عما لقى . ولقد ماتت خديجة وهاجر رسول  
وفاه الرسول لها الله إلى مكة وصار له تسع نسوة ، ولم ينس خديجة وفضلها فقط ، ولم  
يك يشبع من ذكر لها وثناء عليها ، وليس يحفظ التاريخ مثلًا أعلى  
ولا أبل في وفاة الأزواج لأزواجهن من هذا المثل الذي ضربه رسول  
الله من نفسه للناس :

خدمت الاسلام  
في شفاعة

بدمتها

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٢٤ مطبعة الاستقامة

قالت عائشة : « ماغرِت على أحد من نساء النبي ما غرت على <sup>غيرة مائة من</sup>  
كثرة ثائه عليها خديجة ، وما رأيتها ولكن كان رسول الله يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يعيشها في صدائق خديجة . وربما قلت له : « كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة » فيقول : « إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد » <sup>(١)</sup> .

هذه روایة السيدة عائشة أجمل أزواجه وأحبهن إلى قلبه ، غارت من امرأة ميتة من كثرة ما عاينت من عناء النبي بها ووفاته لها وحسن ذكرها عنده . ولقد كانت تأتيه العجوز فيقوم لها ويبسط <sup>إكرامه صوابها بدموعها</sup> لها رداءه ، فإذا استغرب ذلك منه قال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة » وظاهر أن تعلق قلبه <sup>بذكره</sup> بذلك هذه السيدة لم يكن لغير ام بحباها فقط ، لقد أبدله الله أجمل منها وما كانت نفسه الكبيرة <sup>بذكره</sup> لتتشبه نفوسنا ، ولكنه يشي على أمور هي أبعد من ذلك : على نبأها ودينها ومواساتها ، ولقد كان لها في نفسه إجلال لا يوصف لما لها من حسن الأثر عليه أيام الشدة وعنفوانها . وإليك هذا الشاهد مروياً أيضاً عن السيدة وفيه بين الرسول سبب تعلقه بها ووفاته لها خير بيان :

---

(١) السمعط الشعين ص ١٦ نقاً عن البخاري ومسلم  
الاسلام والمرأة (٥)

قالت عائشة : « كان رسول الله إذا ذكر خديجة أثني وأحسن الثناء عليها ، ففرت يوماً قلت : « ما أكثر ماتذكراً هرها ، حمراء الشدّين ، قد أبدلك الله خيراً منها » فقال : « ما أبدلني الله خيراً منها : قد آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتي إذ كذبني الناس ، ووasti بي ما لها إذ حرمني الناس ، ورزقي أولادها إذ حرمني أولاد النساء » <sup>(١)</sup> .

وعلى أنها كانت تكبره خمس عشرة سنة وكان هو في فورة الشباب وأكمال الرجولة لم يتزوج إلا بعد موتها . وكانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين .

٢ - سورة بنت زمعة : من بني عامر بن لوي من قربس : وكانت قبل النبي ﷺ تحت السكران بن عمرو ، وكان هذا من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها . فكافأها الله على صدق إيمانها وتحملها الهجرة في سبيل عقيدتها ، وجب قلبها بما أصابها من نصر زوجها فأمر نبيه فتزوجها عَزَّلَ اللَّهُ عَنِّي وبني بها قبل عائشة <sup>(٢)</sup> وتوفيت بالمدينة آخر خلافة عمر . وقيل عمرت حتى خلافة معاوية سنة ٥٣ للهجرة .

٣ - عائشة بنت أبي بكر الصدّيق : من تم بن مرة بن كعب من قريش ، ولم يتزوج رسول الله بكرًا غيرها . وبني بها في السنة الثانية

(١) السبط الثمين ص ٢٥ عن البخاري ومسلم وانظر مسنده أحاديث ٦ : ١٥٠

(٢) تاريخ الطبرى ٢ : ٤١١ مطبعة الاستقامة

بعد الهجرة فكان هذا الزواج خير مكافأة وتقدير وشكر ان لأنها الذي بذل في سبيل الإسلام من ماله ودمه وأهله مالم يبذل أحد، وتحمل من الأذى والاضطهاد والمدعوان مالم يحمل أحد حاشا رسول الله ﷺ وتوفيت عائشة سنة عمان وخمسين<sup>(١)</sup>.

٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب من بنى عدي بن كعب بن لؤي من قريش . كانت قبله تحت خنيس بن حداقة السهمي أحد أصحاب رسول الله ﷺ البدريةين، وقد توفي بالمدينة ولم يختلف ولدآ منها . ولعل الله أراد بزواج رسوله من حفصة نحو ما كان في زواجه من ابنة أبي بكر : فقد كان إسلام أبيها عمر عزآ المدعوة وقوة لها . توفيت سنة خمس وأربعين بالمدينة ولها ستون سنة .

٥ - أم سلمة هند بنت أبي أمية بن القبرة المزروعة القرشية : تجتمع مع النبي في صرة بن كعب بن لؤي . كانت تحت ابن عمها أبي سلمة ابن عبد الأسد بن هلال أحد أصحاب رسول الله البدريةين و كان شجاعاً فارساً أصابته جراحة في غزوة أحد فمات منها « وكان ابن عمها رسول الله ورضيعه<sup>(٢)</sup> » وله من أم سلمة أربعة أولاد : عمر وسلمة وزينب

(١) نشرنا في الشهر المنصرم سيرتها مفصلة للحافظ الذهبي وهي من أوّل السير عنها ، عن نسخة فريدة في العالم بخزانة صاحب الجلالة إمام اليمن وأسمها : ( سير البلااء ٢ جزء مخصوص بترجمة السيدة عائشة ) مطبعة الترقى بدمشق .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤١٤ .

ودرة ؟ فلم يضيع الله جهاد الزوجين مماً فجعل رسوله هو الخلف عليها وعلى أولادها من المجاهد الشهيد . ولما صلى رسول الله على أبي سلمة ، كبر تسع تكبيرات فقيل « يا رسول الله أنسَهُتْ أمَّ نسيتْ » فقال : « لمْ أَسْنَهْ وَلَمْ أَنْسَ » ، ولو كبرت على أبي سلمة الفاماً كان أهلاً لذلك « ثم زوج رسول الله ابنتها سلمة من ابنة حمزة بن عبد المطلب عمه عليه الصلاة والسلام <sup>(١)</sup> » ودفنت أم سلمة بالقديع سنة ستين ولها أربع وثمانون سنة .

٦ - زبب بنت ضربة أم الماكين ( وهذه كنيتها في الجاهلية ) ، كانت تحت عبد الله بن جحش قُتلت عنها في غزوة أحد ، فتزوجها النبي ﷺ سنة ثلاثة ، وبقيت عنده شهرين أو ثلاثة ثم توفيت بالمدينة ولم يُعْتَدْ عندَهُ من أزواجها غيرها وغير خديجة .

٧ - صوربة بنت الحارث المزاعنة : كانت تحت مسافع بن صفوان ولم تلد له شيئاً ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أصيّبت سبیةً في سهم ثابت بن قيس الأنصاري فكلم النبي ﷺ في فداءها ، فخطبها رسول الله بعد أن أعتقها وأصدقها أربعين درهماً : وكان ذلك سنة خمس من الهجرة . فلما رأى أصحاب رسول الله ذلك ، أعتقدوا من بأيديهم من الأسرى وقالوا : « أصحاب رسول الله » فكانت من أعظم النساء بركة

(١) تاريخ الطبرى ٤١٤/٢ .

على قومها، أعتق بسببها مئة أهل بيت<sup>(١)</sup> و توفيت سنة خمسين.

— ٨ — أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب الـدمويـة الفـرسـية : كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكانا مهاجرين في الحبشة المحررة الثانية ، فتنصر زوجها بالحبشة ومات بها . ثم أرسل رسول الله يخطبها سنة ست <sup>(٢)</sup> فرجمت مع شرحبيل بن حسنة إلى المدينة ، وكانت شديدة الحبـة والاتـبع لـرسـول الله ﷺ . وسر لهذا الزواج أبوها أبو سفيان وكان يومئذ على شركه ، ولعل ذلك أقوى ما طامن من عدائـه للـدـعـوةـهـوـأـسـرـتـهـوـسـأـرـنـيـأـمـيـةـ،ـفـلـانـتـقـلـوـبـهـمـلـلـاسـلـامـبـعـضـالـلـيـنـ،ـفـكـانـذـلـكـنـوـأـقـوـأـمـيـدـاـلـإـسـلـامـهـمـفـيـمـاـبـعـدـ.ـوـتـوـفـيـتـبـالـمـدـيـنـةـسـنـةـأـرـبـعـوـأـرـبـعـينـ.

٩ - زينب بنت جحش : كانت عند زيد بن حارثة ربيب النبي ﷺ فطلقاها، وأراد الله أن يهدم عادة التبني الجاهلية فأمر نبيه بالتزوج من زينب بقوله : « وإذ تقول للذى أنْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْمَتْ عَلَيْهِ أَمْسَكْ عَلَيْكَ زوْجَكَ وَاتْقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مَبْدِيهِ وَتُخْشِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فَلَمَّا قَضَى زِيدٌ مِنْهَا وَطَرَأَ زِوْجَنَا كَهْ لَكِيلًا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَاهُمْ إِذَا قَضُوا مِنْهُنَّ وَطَرَأً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا » <sup>(٣)</sup>

(١) السبط الشميين ص ١١٦ و ١١٧ وتاريخ الطبرى .

<sup>٢</sup> شرح الزرقاني على المawahب ٣: ٢٤٢.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٧.

فكانت زينب تفخر على سائر أزواج النبي بقولها : « زوجكن  
آباءكن وزوجي الله من فوق سبع سماوات »<sup>(١)</sup>

وبهذا الزواج بطل أن يلحق المرأة ربيبه بنسبه . وكانوا يدعون  
ابن حارثة هذا : زيد بن محمد ، فلما نزل قول الله : « ما كان محمد أبا  
أحد من رجالكم ولكن رسول الله وختام النبيين » و قوله « أدعوه  
لآباءهم هو أقسط عند الله » صاروا يدعونه زيد بن حارثة .

توفيت زينب سنة عشرين في خلافة عمر ولها ثلات وخمسون سنة.

#### ١٠ - صفية بنت مبي بن أخطب من اليهود : كانت تحت سلام

ابن مشك ، فلما فرغ المسلمون من غزوة خيبر ، وقعت في السبي وقد  
قتل أبوها وأخوها وزوجها ، وهي سيدة قريظة فأسلمت ، فأراد  
رسول الله أن ينقد شرفها من الأسر وأن يكرم عزها وإسلامها ، ويحرر  
قلبها بعد فقدتها زوجها ولدها وأخاهما ، فأعتقها وتزوجها وكان ذلك  
سنة ست من الهجرة . وبقيت حتى سنة خمسين في خلافة معاوية  
ودفنت بالقيصيم .

#### ١١ - صحيرة بنت العارث الهرملية : خطبها رسول الله مقدمه مكة معتمراً سنة سبع وبني بها بسرف قبل رجوعه إلى المدينة ، فلما

(١) السمعط العدين ص ١٠٦ نقلاً عن الترمذى . وذكر الزرقاني في شرح  
الواهب ٣ : ٢٤٧ أن ذلك كان سنة ست للهجرة .

جاءتها خطبة رسول الله وكانت على بعير قالت : « البعير وما عليه الله ورسوله » .

توفيت بسرف في الموضع الذي بني بها فيه رسول الله وذلك سنة إحدى وخمسين <sup>(١)</sup> في خلافة معاوية

١٢ - مارية القبطية : أهدتها له المقوقس صاحب مصر في جملة هدايا ، فأسلمت ، ودخل بها رسول الله ﷺ وولدت له إبراهيم ، فاعتقت ، وبقيت حتى خلافة عمر ، فماتت سنة ست عشرة ودفنت بالقيصع .

فجملة من دخل بهن الرسول إحدى عشرة امرأة <sup>(٢)</sup> عدا السيدة مارية القبطية : ست قريشيات وهن خديجة وسودة وعائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة ، وأربع من سائر قبائل العرب وهن : زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهملاية وجويرية الخزاعية

(١) السمعط الثمين ص ١١٥ .

(٢) ممن عقد عليهم ودخل بهن بلا خلاف . وهناك عدد من النساء لم يدخل بهن ﷺ : بعضهن مات قبل وصولها إليه ، وبعضهن لم تم خطبتهم ، وبعضهن طلقها قبل دخوله بها ، وفي أسمائهن وعددهن خلاف . ومن أراد الوقوف عليه فليرجع إلى (السمعط الثمين ص ١٢٣ - ١٣٩ وإلى شرح المواهب للزرقاوي

## وصفية الاسرائيلية ، ثم السيدة مارية القبطية<sup>(١)</sup>

هذا وقد كان إصهاره عَلَيْهِ الْكَفَافُ إلى قريش وقبائل العرب وبني إسرائيل ذا أثر كبير في تأليف القلوب على الإسلام ، أفادت منه الدعوة أكبر الفوائد في جمع الكلمة وتقريب أمد الوحدة إذ ذاك :

لقد كان انتشار الإسلام وهو ضم الرسول بتأسيس الوحدة العربية داعيين قويين في تكثير بيوت النبي عَلَيْهِ الْكَفَافُ ، فقد كثرت ضيوفاته، وتعددت أسباب إصهاره إلى القبائل ، ولم يكن في هذا الإصهار شيء من المتعة النفسية له ، بل لقد كان الأمر على العكس ، وكان تعدد الإصهار لمختلف القبائل عبئاً نظير من الرسول رجولة معجزة وصدر رحباً واسعاً نفس ، فأعان الله رسوله على تحمل هذه الأعباء . وكان من ذلك أن تمت الوحدة ، وتألفت القلوب ، وتغلب النبي على نفرة القبائل بهذا الإصهار . وضمن من بعده لأمته مدارس لنشر العلم والسنة

(١) من أراد زيادة اطلاع على سير أمهات المؤمنين فليرجع إلى كتاب (السمط الشفين في مناقب أمهات المؤمنين) للمحب الطبراني فقد وفي الموضوع حقه . وليس من منهج هذا الكتاب الافاضة بمناقبهن وأخبارهن في مبذولة في كتب السير والطبقات ، وإنما غرضنا هنا إظهار مرتلنهن ووضعن الاجتماعي والحقوقي . هذا وفي ترتيبهن خلاف ، وقد ثبتنا أصح الروايات مقتمهـدين على ما ذكر للزرقاـني في (شرح الواهب) على سفي زواجهـن .

يتعلم بها العرب الذين أعدهم الله لإلقاء الإنسانية كيف يعاملون النساء ويتربّون بذلك سيرته معهن عَزَّلَهُ اللَّهُ عَنِ الْمُحَاجَةِ. ولو كان هناك شيء من المتعة لنفسه ، أو كان له شيء من الاختيار في هذا الإصهار ، لما حرم الله عليه ما أباح لكل أمته : حرم عليه أن يطلق أحداً منهم ، أو يتزوج زيادة عليهم ، مع العلم أن كلاماً من أمته يستطيع أن يستبدل بزوجه من تعجبه . هذا ولا ننسى أنهن كلهن — إلا عائشة — نباتات ، كن قبله تحت أزواج ماتوا عنهن .

## الفصل الثاني

في التشريع الخاص بأمهات المؤمنين

نزل الوحي مبتهأً لنساء النبي حقوقاً وأحكاماً وأداباً أخذ بها الناس، فكن بذلك سبيلاً في نزول تشريع خاص بهن في مناسبات مختلفة. وبقي هذا الوحي يتلى بعد مماتهن جمياً إلى قيام الساعة : إيدانها بعkanة المرأة في الإسلام ، وتشرييفاً للنساء عامة ، إذ لم يكتف الإسلام بأن جعل المرأة شخصية (حقوقية) مستقلة كالرجل ، بل زاد بأن رفع المختارات منهن إلى درجة من التقديس : دون الانبياء وفوق الأصحاب .

وإليك أمهات المسائل الالئي كانت مناط تشريع بحقهن :

أ - صباتة مفاصيرهن عمه الوبذال وهرمة نظائرهن بعده : كان كثيراً من العرب غافلاً عن التزام الآدب اللائق ببيوت الرسول ، فكانوا يجلسون عنده في كل وقت ، وربما أطالوا فيتأذى الرسول ويستحيي أن يصرفهم ، وقد وقعت في ذلك حوادث نحن ذاكروها لك :

- ١— لما تزوج رسول الله زينب بنت جحش أولم بخنز ولحم وأرسل أنساً يدعو الناس ، فيجيء قوم فأكلون ويخرجن ثم قوم فـأكلون ويخرجن ، فدعا أنس حتى ما يجد أحداً فقال : « يابي الله لم أجده أحداً أدعوه » قال : « ارفعوا طعامكم » ثم جلس المدعون يتحدون ، فأخذ رسول كأنه يتهيأ للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام ، وقعد ثلاثة ثم انطلقوا ، فجاء أنس فأخبر النبي أنهم انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، وذهب أنس يدخل فألقى دونه الحجاب «<sup>(١)</sup>
- ٢— قالت عائشة : « كنت آكل مع النبي ﷺ في قعب ، فر عمر ، فدعاه ، فأكل ، فأصابت إصبعه إصبعي فقال : « أوه لو أطاع في يكن ما رأتكن عين » فنزلت آية الحجاب «<sup>(١)</sup>
- ٣— روى ابن عباس : دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس ، فخرج النبي ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل ، فدخل عمر رأى الكراهة في وجهه فقال للرجل : « لعك آذيت النبي » فقال النبي ﷺ : « لقد قلت ثلثاً لكي يتبعني فلم يفعل » فقال له عمر : « يا رسول الله لو اخذت

(١) لباب النقول في أسباب التزول للسيوطى ، وانظر : السمعط الشعين ص ١٠٨ وقارىء عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٦ ، ١٧ وقد أثبت زيادة عن شرح المواهب للزرقانى ٢٤٦/٣

حجاباً ، فان نسائك لسن كسائر النساء وذلك أظهر لقلوبهن فنزلت آية الحجاب «<sup>(١)</sup>

٤ — قال محمد بن كعب : كان رسول الله ﷺ إذا نهض إلى بيته بادروه فأخذوا المجالس ، فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله ولا يبسط يده إلى الطعام استحياء منهم فعوتبوا في ذلك <sup>(٢)</sup>

هذه روایات مختلفة في سبب نزول آية الحجاب ولعلها كلها وقعت ووقع أيضاً حادث أكثر خطراً وإيذاء :

٥ — روى ابن عباس : أن رجلاً أتى بعض ازواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها ، فقال النبي له : « لا تقو من هذا المقام من بعد يومك هذا » فقال : « يا رسول الله إنها ابنة عمي ، والله ما قلت منكراً ولا قالت لي » قال النبي ﷺ : « قد عرفت ذلك ، إنه ليس أحد غير من الله ، وإنه ليس أحد غير مني » فمضى الرجل ثم قال : « يعني من كلام ابنة عمي ، لأن زوجتها من بعده » <sup>(٢)</sup> فأنزَلَ الله الآية الآتية بعد ، وأعتقد ذلك الرجل رقبةً وحمل على عشرة أبعة في سبيل الله وحج

(١) انظر المصادر السابقة .

(٢) لباب النقول

ماشياً، توبةً من كلمته .

وهناك روايات أقصر من هذه إلا أنها سمت الرجل وهو طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين في الجنة ، وسمت أم المؤمنين عائشة<sup>(١)</sup>

أنزل الله على النبي في هذا الحادث والحوادث قبله هذه الآية الجامعة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْوَتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَّهُ<sup>(٢)</sup> وَلَكُنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا ، فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكَمْ كَانَ يُؤْذِنِي النَّبِيُّ فَيُسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يُسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأُلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَلِقُلُوبِهِنَّ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ ذَلِكَمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا »<sup>(٣)</sup>

ثم ذكر الذين يجوز لنساء النبي مقابلتهم من غير حجاب فقال : « لاجناح عليهنَّ فِي آبائهنَّ وَلَا أَبْنائهنَّ وَلَا إِخْوَانَهُنَّ وَلَا أَبْنَاءَ

(١) لباب النقول

(٢) ناظرين إناه : متظارين فضجه

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٥

إِخْوَانَهُنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخْوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَاءَهُنَّ وَلَا مَا مَلَكْتُ أَيْمَانَهُنَّ  
وَاتَّقِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا<sup>(١)</sup> ،

ب - هُجَابِرِينَ خَارِجَ الْبَيْوَتِ : خَرَجَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ سُودَةُ بْنَتُ  
زَمْعَةَ بَعْدَ مَا ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً لَا تَخْفَى عَلَى  
مَنْ يَعْرَفُهَا ، فَرَآهَا عَمَرٌ فَقَالَ : « يَا سُودَةُ أَمَا وَاللَّهِ مَا تَخْفِيْنَ عَلَيْنَا ،  
فَانظُرِي كَيْفَ تَخْرِجِينَ » فَانكَفَّتْ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللَّهِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ،  
وَإِنَّهُ لِيَتَعْشِي وَفِي يَدِهِ عِرْقُ ، فَدَخَلَتْ وَقَالَتْ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي  
خَرَجَتْ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَقَالَ لِي عَمَرٌ كَذَّا وَكَذَّا » فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ  
الآيَةَ التَّالِيَةَ . ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ الْوَحْيَ وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ ، فَقَالَ :  
« إِنَّهُ قَدْ أَذْنَ لَكَنَّ أَنْ تَخْرُجِنَ لِحَاجَتِكَنَ .. »<sup>(٢)</sup>

كَانَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ يَخْرُجُنَ بِاللَّيلِ لِحَاجَتِهِنَّ وَكَانَ نَاسٌ مِنَ  
الْمُنَافِقِينَ يَتَعَرَّضُونَ لَهُنَّ ظَنَّا مِنْهُمْ أَهْنَ إِمَاءً ، فَيُؤْذِنُنَ ، فَشَكُونَ ذَلِكَ ،  
فَقَيْلَ لِلْمُنَافِقِينَ ، فَقَالُوا « إِنَّا نَفْعَلُهُ بِالْإِمَاءِ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ :  
« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوْجَكَ وَبَنَاتَكَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٥

(٢) بَابُ النَّقْوَلِ . وَقَالَ : أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ .

جلالاً بهنَّ ، ذلك أدنى أنْ يُعرَفَنَ فلَا يُؤْذِنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا »<sup>(١)</sup>

### ١ - مارَ التَّفَيْرُ وَفَنَصَاصُهُنَ دُونَ سَائِرِ الصَّهَابَةِ بِضَاعِفَةِ الْأَجْمَعِ

طلب نساء الرسول ﷺ منه النفقة ، ولعلمهن أردن عيشاً أطري من عيشهن ، فحزن رسول الله واعتزلهن شهراً ، فأنزل الله على نبيه يأمره أن يخبرهن بين الطلاق والعيش معه على حاله تلك ، وهذه رواية السيوطي عن مسلم وأحمد والنسياني : « أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لها فدخلت والنبي ﷺ جالس وحوله نساً وهم ساكتون فقال عمر « لا كلين النبي ﷺ لعله يضحك » فقال عمر : « يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد (أمراة عمر) سألتني النفقة آنفًا فوجأت عنقها » فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه وقال : « هنّ حولي يسألني النفقة » فقام أبو بكر إلى ابنته عائشة ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة ، كلماها يقول : « تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده ؟ ! » وأنزل الله اختيار ، تغير الرسو  
أذواجه

(١) سورة الأحزاب الآية ٥ الجواب: الملاعة، والإدانة: الارخاء على الوجه، فـكان النساء يختجبن ولا يظهرن إلا عيناً واحدة يرين بها الطريق صيانة لمقامهن عن الابتذال .

فَبِدأَ النَّبِيُّ بِعَاشَةَ فَقَالَ: «إِنِّي ذَا كَرْلَكَ أَمْرًا مَأْحَبُ أَنْ تَعْجِلَ فِيهِ  
حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبُو يَكْ» قَالَتْ «مَاهُو؟» فَتَلَّا عَلَيْهَا:  
«يَا إِيَّاهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ: إِنْ كَنْتَنَ تَرْدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
وَزِينَهَا فَتَعْالَيْنَ أَمْتَكِنْ وَأَسْرَحْكَنَ سَرَاحًا جَمِيلًاً . وَإِنْ كَنْتَنَ  
تَرْدَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَانَّ اللَّهَ أَعْدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ  
أَجْرًا عَظِيمًا»<sup>١١</sup> .

قالت عائشة : «أفيك أستأمر أبي ؟! بل اختار الله ورسوله» <sup>(٢)</sup>  
وكان جواب صواحبها مثل جوابها : كلهن اختار الله ورسوله والدار  
الآخرة. فرفع الله مقامهن وجعل لهن على الحسنة ضعف أجر غيرهن  
من الصحابة الكرام ، وكذلك ضاعف لهن العذاب إذا أخطأن ! ،  
وذكرهن بعلو درجتهم وما يليق بهن من لزوم البيوت وتقوى الله  
ومن عليهم إذ جعل بيتهن مهابط الوحي والرحمة فقال :

مَنْعِلَةُ أَجْرِهِنَّ «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَأْتِ مَنْكُنَ بِفَاحِشَةٍ مِّنْتَنَ يَضَاعِفُ هُلَالُ الْمَذَابِ  
صَفَفِينَ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَقْنَطْ مَنْكُنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مِنْ تِينَ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا . يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ  
لَسْتُنَّ كَاحِدَ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقْيَنَ فَلَا تَخْضُعْ بِالْقَوْلِ فَيُطْمَعُ الَّذِي فِي

(١) سورة الأحزاب ، الآيات ٢٨ و ٢٩

(٢) لباب النقول في أسماء النزول.

قلبه مرض و قُلْنَ قولاً مَعْرُوفاً . و قَرْنَ فِي يَوْتَكْنَ وَلَا تَبْرُجْنَ  
 تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطْعَمْنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ،  
 إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطْهَرَ كُمْ تَطْهِيرًا،  
 وَإِذْ كُرْنَ مَا يُتْلَى فِي يَوْتَكْنَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحَكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
 لطِيفًا خَبِيرًا » <sup>(١)</sup>

د - نحر بِمِنْهُمْ النَّاسَ عَلَى نَبِيِّهِ طَهْرَفَرِنْ أَوِ الْمَزِيَادَةِ عَلِيَّرِنْ :

بعد أن هجر النبي نساءه - على ما تقدم - ثم أمره الله أن يخسرهن،  
 فخسِرُوهنْ فاخترنَ الله وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ؛ بعد ذلك حرم الله على  
 رَسُولِهِ أَنْ يُطْلِقَ مِنْهُنَّ أَحَدًا أَوْ يَتَزَوَّجَ عَلَيْهِنَّ، وَهَذَا حَكْمٌ خَاصٌّ بِهِ  
 عَلَيْهِنَّ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي دُوَاعِي زَوَاجِهِ شَيْءٌ مِّنْ حَظِّ الْمُتَعَنةِ الْفُضْسِيَّةِ ،  
 فَإِذَا كَانَ لَأْيَ رَجُلٌ مِّنْ أُمَّتِهِ أَنْ يُطْلِقَ زَوْجَهُ وَيَتَزَوَّجَ بِأَجْمَلِ مِنْهَا فِي  
 أَيِّ سَاعَةٍ شَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اصْطَفَى لِرَسُولِهِ هُؤُلَاءِ التَّسْعِ لِيَنْقَلِنَ إِلَى  
 أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ سِيرَتِهِ وَسُنْتِهِ وَهُدَيْهِ ، وَشَرَّفَهُنَّ عَلَى النِّسَاءِ بِأَنْ جَعَلَ  
 زَوَاجَهُنَّ مِنْ اخْتِيَارِ اللَّهِ؛ وَلَمَا اخْتَرْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ ،  
 حَرَمَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ الْزِيَادَةِ عَلَيْهِنَّ أَوْ تَطْلِيقِ أَحَدِهِنَّ وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ :

(١) سورة الأحزاب الآيات : ٣٠ - ٣٤

الاسلام والمرأة (٦)

« لا يحل للك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو  
أعجبك حسنُهن »<sup>(١)</sup> فلزم أزواجه لقب أمَّات المؤمنين ، وخلد  
الله بذلك شرفهن إلى الأبد .

#### ٥ - تغريب أمَّواتهن لعامة المسلمين بنص القرآن :

أنزل الله على نبيه هذا القول الكريم : « النبي أولى بالمؤمنين من  
أنفسهم وأزواجه أمَّاتهم »<sup>(٢)</sup> فصرن بهذا النص أمَّات لكل من  
كان مؤمناً على الإطلاق ، وأصبح اخلاقه من بعده يحترمونهن احترامهم  
لأمَّاتهم ، حتى صار أبو بكر نفسه على جملة قدره ينادي بنته  
السيدة عائشة : « يا أمَّة » . وليس ثبت بهذا النص إلا حكم واحد  
هو تحريمهن على غير النبي بعد وفاته . وهنا أترك الكلام لأحد كبار  
الفقهاء المجتهدین يفصل هذا الحكم ، قال الإمام ابن تيمية : « قد أجمع  
المسلمون على تحريم نكاح هؤلاء (يعني أزواج النبي ﷺ) بعد موته  
على غيره ، وعلى وجوب احترامهن فهن أمَّات المؤمنين في الحرمة  
والتحريم ولسن أمَّات المؤمنين في المحرمية : فلا يجوز لغير أقاربهن  
الخلوة بهن ولا السفر بهن كما يخلو الرجل ويسفر بذوات محارمه ،  
ولهذا أمرن بالحجاب فقال الله تعالى : « يا أيها النبي قل لآزواجهك

(١) سورة الأحزاب ٣٣ الآية ٥٢

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ الآية ٦

وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ  
يُعْرَفُنَّ فَلَا يُؤْذَنَّ <sup>(١)</sup> » وَقَالَ تَعَالَى « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا  
فَاسْأَلُوهُنَّ مَنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لُقُوبَكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ وَمَا كَانَ  
لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنَكِّحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ  
ذَلِكَمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا <sup>(١)</sup> »

وَلَمَا كَنَّ بِنَزْلَةِ الْأَمَمَاتِ فِي حِكْمَةِ التَّحْرِيمِ دُونَ الْمُحْرِمَةِ ، تَنَازَعَ أَمْهَاتُ الْعِرْجِ  
الْعُلَمَاءِ فِي إِخْوَتِهِنَّ : هَلْ يُقَالُ لِأَحْدَهُمْ : ( خَالُ الْمُؤْمِنِينَ ) ؟ ... مِنْ  
عُلَمَاءِ السَّنَةِ مَنْ قَالَ لَا يُطْلَقُ عَلَى إِخْوَةِ الْأَزْوَاجِ أَنْهُمْ أَخْوَالُ الْمُؤْمِنِينَ ،  
فَإِنَّهُ لَوْ أَطْلَقَ ذَلِكَ لَأُطْلَقَ عَلَى أَخْوَاتِهِنَّ أَنْهُنَّ : خَالاتُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ  
كَانُوا أَخْوَالًا وَخَالاتٌ لَحِرْمٍ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَزَوَّجَ خَالَتَهُ ، وَحَرْمٌ عَلَى  
الْمَرْأَةِ أَنْ تَزَوَّجَ خَالَهَا ، وَقَدْ ثَبَتَ بِالنَّصْ وَالْإِجْمَاعِ أَنَّهُ يَحُورُ لِلْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمَنَاتِ أَنْ يَتَزَوَّجُوا أَخْوَاتِهِنَّ وَإِخْوَاتِهِنَّ كَمَا تَزَوَّجُ الْعَبَاسُ أَمْ  
الْفَضْلُ أَخْتَ مِيمُونَةَ بَنْتِ الْحَارِثِ ( أَمُّ الْمُؤْمِنِينَ ) وَوَلَدُهُ مِنْهَا عَبْدُ اللَّهِ  
وَالْفَضْلُ وَغَيْرُهُمَا ، وَكَمَا تَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ وَمَعَاوِيَةَ  
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مَنْ تَزَوَّجَوْهُنَّ مِنْ  
الْمُؤْمَنَاتِ ، وَلَوْ كَانُوا أَخْوَالًا لَهُنَّ مَا جَازَ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَزَوَّجَ خَالَهَا .

(١) مِنَ الْكَلَامِ عَلَى هَاتِينِ الْآيَتِينِ وَسَبَبِ نَزْوِهِنَّ آنَّهَا ص ٧٧

قالوا : وكذلك لا يطلق على أمهاهن أنهن جدات المؤمنين ولا على آباءهن أنهم أجداد المؤمنين ، لأنه لم يثبت في حق الأمهات جميع أحكام النسب وإنما يثبت الحرمة والتحرم . وأحكام النسب تتبعض كما يثبت بالرضا عن التحرم والحرمية ولا يثبت بها سائر أحكام النسب . وهذا كله متفق عليه <sup>(١)</sup> اهـ

هذا ولا بأس أن نشير زيادة على مقال ابن تيمية إلى أنهم اختلفوا هل يقال لإحداهم : أم المؤمنات كما يقال لها أم المؤمنين ؟ فذهب قوم إلى أن المؤمنات دخلات في (المؤمنين) على التغليب ، وذهب آخرون إلى أنهن أم الرجال فقط نظراً لما بينهن وبين الرجال من التحرم ولا شيء من ذلك بينهن وبين النساء ، والنساء لا يدخلن في خطاب الرجال إلا القرينة . واستدلوا على ذلك بقول السيدة عائشة نفسها : فقد قالت لها امرأة « يأمه » فقالت : « لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم » <sup>(٢)</sup> على أن هناك نقلاً عن أم سلمة تقول فيه : « أنا أم رجالكم ونسائكم » .

وتتابع إجماع المسلمين على حرمتهن وتحريمهن طبقة بعد طبقة ، لم

عظم حرمتهن في  
قوس المسلمين

(١) منهاج السنة / ١٩٨ / ٢ وانظر تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطه دار الكتب الظاهرية برقم ٣٣٨٠ / ١٥ الورقة ٣٤٩)

(٢) شرح المواهب / ٢١٧ وطبقات ابن سعد / ٤٤ / ٨ ومسند أحمد / ٦ / ١٤٦ وفيه « لست بأمكن ولكني أختكن »

## يقتصر ذلك على طائفة دون طائفة<sup>(١)</sup> حتى الخوارج أنفسهم وهم الذين

(١) أردت أن أعرف وفاءً بحق البحث وتحرياً للحق الخالص ، رأى الشيعة — وهي ثانية الطوائف الإسلامية كثرة وانتشاراً — في أمهات المؤمنين ، ولم أنشأ أن استقل بالتبعة ، فكتبت إلى مفتichم الأكبر في ديارنا الشامية : الشيخ الجليل السيد محسن الأمين العاملـي في الخامس عشر من ذي الحجة سنة ١٣٦٢ هـ أسأله أسئلة أولها :

ـ ما هو رأي الشيعة المتفق عليه : في أمهات المؤمنين عامة ، مستندًا إلى المصادر الموثوق بها ، المجتمع على احترامها عندهم . ـ فوردت أجوبته في كتاب مؤرخ في الثالث من المحرم الحرام سنة ١٣٦٣ هـ وهـاك منها جواب السؤال المذكور : قال : « أما الجواب عن الأول فيمكنني في هذه المـجالـة أن أـبيـن لكم خلاصة عـقـيدةـ الشـيعـةـ المـتفـقـ عـلـيـهاـ فيـ نـسـاءـ الـأـنـبـيـاءـ عـامـةـ ، وـ فـيـ أـمـهـاتـ المـؤـمـنـينـ نـسـاءـ النـبـيـ مـسـيـحـ اللهـ خـاصـةـ :

يـعتقدـ الشـيعـةـ وجـوبـ تـزـيهـ الـأـنـبـيـاءـ عـنـ جـمـيعـ الـمـيـوبـ وـ الـنـقـائـصـ ، سـوـاءـ أـكـانـ ذـلـكـ فـيـ اـفـاعـلـهـ كـالـأـكـلـ عـلـىـ الـطـرـيقـ وـ جـالـسـةـ الـإـرـاذـلـ ، اوـ صـنـاعـتـهـمـ كـكـوـنـهـ حـائـكـاـ اوـ جـيـاماـ اوـ زـبـالـ ، اوـ أـخـلـاقـهـمـ كـالـقـدـ وـ الـحـسـدـ وـ الـجـنـ وـ الـبـخـلـ ، اوـ فيـ أـجـسـامـهـمـ كـالـبـرـصـ وـ الـجـذـامـ ، اوـ عـقـولـهـمـ كـالـجـنـوـنـ وـ الـبـلـهـ ، اوـ فيـ الـخـارـجـ عـنـهـمـ كـدـنـاءـ الـآـبـاءـ وـ عـرـ الـأـمـهـاتـ اوـ الـأـزـواـجـ .

فـتـحـصـلـ مـنـ ذـلـكـ : أـنـ زـوـجـةـ الـنـبـيـ يـجـوزـ أـنـ تـكـوـنـ كـافـرـةـ كـاـيـاـ فـيـ اـمـرـأـتـيـ نـوحـ وـ لـوـطـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ ، وـ لـاـ يـجـوزـ أـنـ تـكـوـنـ زـانـيـةـ ، لـأـنـ ذـلـكـ مـنـ النـقـائـصـ الـيـ

تلـحـقـ بـالـنـبـيـ فـتـوجـبـ سـقـوطـ حـمـلـهـ مـنـ الـقـلـوبـ وـ دـعـمـ الـانـقـيـادـ لـأـقـوـالـهـ وـ اـفـعـالـهـ ، وـ ذـلـكـ يـسـافـيـ الـفـرـضـ الـمـقصـودـ مـنـ الرـسـالـةـ ، وـ حـيـثـيـذـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ فـيـ حـقـ اـمـرـأـتـيـ نـوحـ وـ لـوـطـ : « نـفـاتـهـاـ » ، يـرـادـ مـنـهـ الـخـيـانـةـ بـغـيرـ ذـلـكـ وـ لـاـ عـمـومـ فـيـ لـفـظـ الـخـيـانـةـ —

كانوا مع علي في حربه عائشة وأصحاب الجمل، لم يطيفوا أن يسمعوا الكلمة  
نافية وردت في سؤال حتى سدوا آذانهم ، وإليك البيان :

— أما اعتقادم في خصوص أزواج النبي ﷺ فهو مانطق به القرآن الكريم  
وانتفق على نقله أهل الآثار والأخبار دون مانفرد به بعضهم ولم يقم برهان على  
صحته مما روي لأمور سياسية في عصر الملاك الموضوع او انفرد به شذاذ لا عبرة  
بهم . هذا هو اعتقادهم المتفق عليه ومن نسب إليهم سوى ذلك فقد أخطأ فأزواج  
النبي ﷺ ، وحرمة نكاحهن من بعده: « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواج  
أمهاتهم » ، « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تسکحوا أزواجاً من بعده  
أبداً » ، وإن الزوجية للنبي ﷺ لاترفع عقاب المصيبة بل تضاعفه كاً تضاعف  
نواب الطاعة « يأنسـةـ النبيـ منـ يـأتـ منـكـنـ بـفـاحـشـةـ مـيـدـةـ يـضـاعـفـ لـهـ الـمـذـابـ ضـعـفـينـ » ،  
« ومن يقتـنـ مـنـكـنـ لـهـ وـرـسـوـلـهـ وـتـعـمـلـ صـالـحـاـ نـوـتـهـ أـجـرـهـ مـرـتـيـنـ » ، « يـأـنـسـةـ النبيـ  
لـسـتـنـ كـاـمـدـ مـنـ النـسـاءـ إـنـ اـقـيـنـ »

وإن زوجية المرأة للنبي لا تنفعها مع سوء عملها ، كما ان زوجيتها لاـ كافـرـ المـدـعـيـ  
الربـوـيـةـ لاـ تـنـصـرـ هـاـ مـعـ حـسـنـ عـمـلـهـ : « وـضـرـبـ اللهـ مـثـلـاـ لـلـذـينـ كـفـرـواـ اـمـرـأـ فـوـحـ  
وـامـرـأـ لـوـطـ كـاتـتـتـ عـبـدـيـنـ مـنـ عـبـادـنـ صـالـحـيـنـ فـخـاتـهـاـ فـلـمـ يـغـنـيـاـ عـنـهـ مـنـ اللهـ شـيـئـاـ  
وـقـيـلـ اـدـخـلـاـ النـارـ مـعـ الدـاخـلـيـنـ . وـضـرـبـ اللهـ مـثـلـاـ لـلـذـينـ آمـنـواـ اـمـرـأـ فـرـعـوـنـ إـذـ  
قـالـتـ رـبـ اـبـنـ لـيـ عـنـدـكـ يـبـيـأـ فـيـ الجـهـةـ وـنـجـيـ مـنـ فـرـعـوـنـ وـعـلـمـهـ » ، وـانـ بـعـضـ أـزـوـاجـهـ  
ﷺ أـفـشـتـ سـرـهـ ، وـإـنـ اـنـتـيـنـ مـنـهـاـ قـدـ صـفتـ فـلـوـهـاـ وـمـالـتـ عـنـ طـرـيقـ الطـاعـةـ  
وـفـعـلـتـاـ مـاـ يـوـجـبـ التـوـبـةـ ، وـأـنـهـاـ تـظـاهـرـتـ عـلـيـهـ : « وـإـذـ أـسـرـ الـنـيـ إلىـ بـعـضـ أـزـوـاجـهـ  
حـدـيـئـاـ فـلـمـ يـنـبـأـ بـهـ وـأـظـهـرـهـ اللهـ عـلـيـهـ عـرـفـ بـعـضـهـ وـأـعـرـضـ عـنـ بـعـضـ ..ـ »

كان أصحاب النخلة (وهم طائفه من الخوارج على علي، وهذا الخوارج كان بعد صفين) قالوا لابن عباس: «إن كان علي على حق لم يشكك فيه، وحكم مضطراً، فما باله حيث ظفر لم يسب» فقال لهم ابن عباس: «قد سمعتم الجواب في التحكيم، فأماماً قولكم في السباء: أفكنتم سابين أمكم عائشة!!» فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا: أمسك عنأغرب

— ثم قال: «إن توبا إلى الله فقد صفت قلوبكم وإن تظاهرا عليه فإنه الله هو مولاهم وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير . عسى ربكم إن طلقكن أن يدخله أزواجاً خيراً منكن ..» الآية . وروى الطبراني في تفسيره روايات كثيرة والبخاري في صحيحه أن المتظاهرين كانوا عائشة وحفصة ، وأن نساء النبي ﷺ فعلن ما يوجب اعتزاله إياهن تسعه وعشرين يوماً حتى نزلت آية التخدير : «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أممكم وأسر حken سراحـاً جميلاً . وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً .»

ويعتقدون أن أفضل أممـات المؤمنين خديجة بنت خويلد وأن من المحسنات أم سلمة .

اتهـى جوابـه على سؤـالي الأول . ومع أنـ السيد لم يذكر في هذا الجوابـ من المصادر الشـيعـية المـوثـوقـ بها عندـهم شيئاً كما رـجـوتـ ، لا يـسـعني إلاـ أنـ أـعـدـ هذا الجوابـ منهـ — وهو مـقـيـ الشـيعـةـ الـأـكـبـرـ فيـ الشـامـ — مـعـبراً عنـ عـقـيدةـ الشـيعـةـ الرـسـميةـ . وأـنـتـ تـرىـ أنهاـ لاـ تـخـتـلـفـ فيـ شـيءـ الـبـتـةـ عنـ عـقـيدةـ أـهـلـ السـنـةـ .

لسانك يابن عباس فانه طلق ذلك غواص على موضع الحجة<sup>(١)</sup> .

حتى التي غامرت في السياسة ما غامرت ، وأصبح لها خصوم كثيرون من المسلمين ، لم يقر الرأي العام الإسلامي أن يقصر أحد في واجب الحزن عليها بعد وفاتها إذ كانت أمًا لجميع المؤمنين : ذكر ابن سعد في طبقاته أن أحد الأكابر سأله قادمًا : « كيف حزن الناس على عائشة ؟ » فأجابه : « كان فيهم وكان » يعني أن منهم من لم يحزن فقال : « أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه » <sup>(٢)</sup> يريد أن يقول : من لم يحزن عليها فليس بمؤمن . وأصرح من هذا جواب ابن الزبير وقد سأله الحرورية (الخوارج) رأيه في أبيه وفي طلحة « وقد بايعا علياً ثم نكنا ... وأخرجنا عائشة تقاتل .. » فكان إخراجهما عائشة من أشنع ما فعل ، في رأي الخوارج : إذا ابتذلا بآخر اجها حرمة صانها الله ، فأجاب ابن الزبير : « ومما ذكرتموها به فقد بدأتم بأكم عائشة ، فإن أبي آبٍ أن تكون له أمًا نبذ اسم الآيان عنه ، قال الله عز وجل قوله الحق : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجهم وأمهاتهم »

(١) الكامل للمبرد ٩/٥٧٧ (أوروبة)

(٢) طبقات ابن سعد ٨/٥٤

فنظر بعضهم إلى بعض وانصرفوا<sup>(١)</sup> . وإن أردت أن تعرف كيف ينظر أجياله الصحابة الفحول إلى أمهات المؤمنين قترون هذا الخبر زيادة على ما تقدم :

صلى ابن عباس الصبّع ، فقيل له : ماتت فلانة ( البعض أزواج النبي ) ، فسجد ، فقيل له : « أتسجد هذه الساعة ؟ » فقال « أليس قال رسول الله : ( إذا رأيتم آية فاسجدوا ) ؟ فأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ . »<sup>(٢)</sup>

(١) الكامل للبرد ٦٠٨/١٠٨ ( أوروبا )

(٢) السمعط الشمین ص ٧ وانظر زاد المعاذ على هامش شرح المواهب : ١٣٦/١ — ١٣٧ وذكر ابن الجوزي في كتابه عن عمر بن الخطاب ص ١٥٦ أن عمر فرض لأزواج رسول الله ﷺ عشرة آلاف إلا جوهرية وصفية وميمونة ، فقالت عائشة : « إن رسول الله كان يعدل بيننا » فرجح عمر إلى عمل رسول الله وعدل بينهن في المطاء .

## الفصل الثالث

في إجمال سيرته معهن

لقي أزواج النبي ﷺ من حسن رعايته وجميل عنايته ما كان مضرب المثل ، وكان ينهاج معهن نهجاً كله عطف وصبر وحلم ، ايتخذ الناس من هذا النهج قدوة يسيرون عليها في معاملة النساء وقد قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ». (١)

كان يتمدهن كل يوم : يطوف عليهن أو يجتمعن عند صاحبة النوبة يحدّهن ويلاظهن وربما سمر<sup>(٢)</sup> معهن ثم يبيت عند صاحبة النوبة ، ويقسم بينهن قسماً عادلاً لا يفضل واحدة على واحدة في القسم ، وكان شديد الخوف من الله أن يخاطيء في العدل بينهن : يقسم ويقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تأمي فيما لا أملك » (٣) يعني من ميل قلبه إلى بعض أكثر من بعض . كل ذلك كان حرصاً على

(١) حفظت كتب الحديث شيئاً من هذا السمر الشائق ، فانظر مثلاً في السmet

الثمين (ص ٨) تحدّيه نساء حديث التفر الذين خطبوا المرأة وجعلوا صفاتهم إلى أحدهم ، ليصف لها كل واحد منهم لتأخذ منهم من تحب فتزوجه بعد أن سمعت صفتة

(٢) السmet الثمين ص ٧

تأدية حقهن وجبر قلوبهن ، وتعلماً لأمته أن يسألنوا في تحري العدل بين زوجاتهم . فإذا سافر « أقرع بين نسائه ؟ فـأيـهـن خـرـجـ سـهـمـها سـافـرـ بها » وكان يلحق المرأة منهـن يوم ولـيـلةـ في كل تـسـعـةـ أيام ، إـلاـ عـائـشـةـ : فـانـ سـوـدـةـ مـاـ كـبـرـتـ وـهـبـتـ يـوـمـهاـ لـهـاـ اـبـغـاءـ مـرـضـاهـ الرـسـولـ .

وعن طريق أمـهـاتـ المؤـمـنـينـ عـرـفـناـ خـلـقـهـ عـلـيـهـ وـسـيرـتـهـ في

بيتهـ معـهـنـ :

سئلـتـ عـائـشـةـ : « ماـ كـانـ النـبـيـ عـلـيـهـ الـحـلـمـ يـصـنـعـ فـيـ بـيـتـهـ ؟ » قـالـتـ « كـماـ يـصـنـعـ أـحـدـكـمـ : يـخـصـفـ نـعـلـهـ وـيـرـقـعـ ثـوـبـهـ » <sup>(١)</sup> وزـادـتـ فـيـ روـاـيـةـ « وـيـرـقـعـ دـلـوـهـ وـيـحـلـبـ شـانـهـ وـيـخـدـمـ نـفـسـهـ » <sup>(٢)</sup> ولـقـدـ وـصـفـهـ خـادـمـهـ أـنـسـ بـقـوـلـهـ : « خـدـمـتـ النـبـيـ عـلـيـهـ الـحـلـمـ عـشـرـ سـنـينـ فـاـقـالـ لـيـ أـفـ قـطـ ، وـلـاـ قـالـ لـشـيـ صـنـعـتـهـ : لـمـ صـنـعـتـهـ ؟ وـلـاـ لـشـيـ تـرـكـتـهـ : لـمـ تـرـكـتـهـ ؟ » <sup>(٣)</sup>

وسـئـلـتـ أـيـضاـ عـائـشـةـ : « كـيـفـ كـانـ رـسـوـلـ اللهـ إـذـ خـلـاـ فـيـ بـيـتـهـ ؟ » قـالـتـ : « كـانـ أـلـيـنـ النـاسـ بـسـاماـ ضـحاـ كـماـ ، لـمـ يـرـ قـطـ مـادـاـ

(١) مـسـنـدـ أـحـمـدـ ٦/١٠٦ـ وـفـيـ السـمـطـ الثـمـينـ صـ ١١ـ هـذـهـ الزـيـادـةـ دـ يـشـيلـ هـذـاـ وـيـحـطـ هـذـاـ وـيـخـدـمـ فـيـ مـهـنـةـ أـهـلـهـ ، وـيـقـطـعـ طـمـ اللـحـمـ وـيـقـمـ (ـيـكـنـسـ) الـبـيـتـ وـيـمـينـ الـخـادـمـ فـيـ خـدـمـتـهـ <sup>(٤)</sup>

(٢) شـرـحـ المـواـهـبـ لـلـزـرـقـانـيـ ٤/٢٦٣

(٣) الـجـزـءـ نـفـسـهـ صـ ٢٦٢

رجليه بين أصحابه<sup>(١)</sup> » وسئلته : « كيف كان خلق رسول الله ﷺ في أهلها ؟ » قالت : « أحسن الناس خلقاً : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سختاباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح<sup>(٢)</sup> » ، « ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط ، ولا ضرب يده إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ومانيل منه شيء فانتقم منه من صاحبه إلا أن تنتهي محارم الله عز وجل فينتقم الله عز وجل ، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون مائعاً ، فإن كان مائعاً كان أبعد الناس منه<sup>(٣)</sup> » .

احتمل الرسول كثيرأ في حسن معاملته ولطفه معهن وفي سبيل تطهير قلوبهن ولقد نعمن بعطفه وعشن في جنابه العيش الطيب الهني ووسعهن قلبـه الكبير حتى كان لهن الأب والمعلم والزوج ما . ولقد أعنـه على أمرـه بما وسعـهنـ: فـكـنـ يـعـلـمـ النـسـاءـ السـنـةـ وـالـدـيـنـ ، وـيـخـرـجـ مـعـهـ فـيـ الغـزوـاتـ يـسـقـيـنـ الجـرـحـيـ وـيـقـاتـلـنـ أـحـيـاـنـاـ . ذـكـرـ الزـمـخـشـريـ أـنـ أـزـوـاجـ رـسـوـلـ الله ﷺ كـنـ « يـدـلـجـنـ » (يعـشـيـنـ بـالـحـلـلـ وـقـدـ أـنـقـلـهـنـ) بـالـقـرـبـ يـسـقـيـنـ أـصـحـابـهـ بـادـيـةـ خـدـامـهـنـ (خـلـاخـيلـهـنـ) فـيـ غـزـوـةـ أـحـدـ » .<sup>(٤)</sup> ومرـبـكـ

(١) شرح المواهب للزرقاـنـيـ ٤/٢٦٣

(٢) مـسـنـدـ اـحـمـدـ ٦/٢٣٦ـ . السـخـابـ : كـثـيرـ الصـفـحـ وـهـ شـدـةـ الصـوتـ

(٣) المـصـدـرـ نـفـسـهـ ٦١/٣

(٤) الفـائقـ لـلـزـمـخـشـريـ ١/٢٠٢

آفَأَنْوَذْجَ مِنْ وَفَائِهِ عَسَّالَلَهُ لَمَنْ مَاتَ مِنْهُنَّ ، لَقَدْ لَقِينَ مِنْ نَبِلَ شَمَائِلَهُ  
مَا لَا يَطْمَعُ وَلَدْ أَنْ يَنَالَ بَعْضَهُ مِنْ وَالَّدَ حَبْ .

وَقَيْ عَسَّالَلَهُ كَثِيرُ الْاَهْتَامَ بِأَصْرَهُنَّ وَكَانَ يَقُولُ : «إِنْ أَمْرَكُنَّ  
لَمَّا يَهْمِنِي مِنْ بَعْدِي ، وَلَا يَخْنُونِي عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ» (١) وَلَمْ  
يَنْتَقِلْ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى إِلَّا وَهُوَ وَاثِقٌ مِنْ أَنَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةَ سَيَكُونُونَ  
لَهُنَّ الْأَبْنَاءُ الْبَرَّةُ ، وَكَذَلِكَ كَانُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

## الفِيصلُ الرَّابعُ

سِيرَتَهُنَّ بَعْدَهُ وَعِنْيَةُ الْخَلْفَاءِ بَهْنَ

توفي رسول الله ، وعاش أزواجه بعده سنتين طويلاً حتى أدرك بعضهن خمسين سنة بعد وفاته ، وكان الخلفاء والأمراء وعامة المسلمين يتتساقون في برهن ورعايتها ويتنافسون في إعطائهم واحترامهم ، وانقطعن بعده عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الصلاة والصوم والحج والصدقات .

عبادتهن ولقد أكثرن من العبادة في حياته ، ورغبن في كل نوع منها ، حتى الجهاد فقد خاطبن النبي بأمره فأجابهن : « جهاد كن الحج » <sup>(١)</sup> فكانت تروى عنهن المآثر في الزهد والورع ، وكان النساء والرجال يقصدونهن للتعلم والسؤال وهن يحدثن كلما سمعن ورأين من قول النبي وفعله وحاله ، وأصبحن أسوة لغيرهن من النساء في التدين والانقطاع إلى الله ، وكانت سيرتهن خير سيرة ينبغي أن يكون عليها نساء الأنبياء صلوات الله عليهم .

عن السياسة هذا أمرهن من حيث الدين والتقوى والورع ، ثم اختلف اجتهادهن في أمر الدخول في المسائل العامة أو (السياسة) باصطلاح

عصرنا: فاما عائشة فخاضت السياسة واقتحمت الأمور العامة وأوغلت فيها أيما إينغال ، وأما غيرها كأم سلمة فأنكرت عليها هذا الخوض كل الإنكار ، والبواقي اعتزلن السياسة سلباً وإيجاباً واشتغلن بعبادتهن .

لما كان الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه أراد أن تزوج النبي في عهده أبي بكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرسلن عثمان بن عفان رسولاً إلى أبي بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبير وفديك ، فقالت لهن عائشة : « أما تتقين الله ؟ أما سمعتن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « نحن معاشر الأنبياء لأنورث ، ماتر كناه صدقة . إنما هذا المال لآل محمد لنائبهن وضييفهم ، فإذا مت فهو إلىولي الأمر من بعدي <sup>(١)</sup> ؟ » فأمسكت .

فرض أبو بكر العطاء بالتسوية بين الناس وكان رأي عمر التفريق في عهد عمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم على حسب السابقة وال مجرة والفضل ، فلما آلت إليه الخلافة ، وافتتح العراق والشام وجي الخراج ، جمع أصحاب رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : « إني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله الدين افتحوه » قالوا : « نعم الرأي رأيت يا أمير المؤمنين » قال : « فبمن أبدأ ؟ » قالوا : « بنفسك »

(١) فتوح البلدان للبلذري (اوروبا) ص ٣٠ وانظر : الإجابة لإبراد

قال : « لا ، ولكنني أضع نفسي حيث وضعها الله ، وأبدأ بآل رسول تفضيلن في العطاء الله ﷺ » فكتب عائشة أم المؤمنين في اني عشر ألفاً وكتب سائر أزواج النبي في عشرة آلاف ثم فرض بعد أزواج النبي ﷺ (بني هاشم ) لعلي بن أبي طالب خمسة آلاف ولمن شهد بدرأً من بني هاشم .. <sup>(١)</sup>

ولا بأس بلفت نظرك منذ الآن إلى كلمة عمر « ولكنني أضع نفسي حيث وضعها الله فأبدأ بآل رسول الله » ففيها شاهد قوي على مانحتم به هذا الباب من بيان فضل أمهات المؤمنين على جميع الأصحاب بلا استثناء ، فإن اعتراف عمر هذا له قيمة وخطره ومحنته .

اتخذ عمر تفضيل أزواج النبي خطبة لا يحيى عنها في كل فرض يفرضه للناس : ذكر الطبرى أنه كان « يجعل لكل نفس منفوسه من أهل الفي درهماً في رمضان درهماً في كل يوم ، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ درهرين درهرين » <sup>(٢)</sup>

هذا وكان عمر كثير الحدب عليهم والرعاية لهن في الأمور الجليلة

(١) فتوح البلدان ص ٤ واليمقobi ٢/١٧٥ وكتاب الأموال لابن سلام ص ٢٢٤ والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٣٠٧ مطبعة الاستقامة

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٣٠٧ مطبعة الاستقامة

والحقيقة حتى قالت مائشة : « كان عمر بن الخطاب يرسل إلينا بأحظائنا (بحصصنا) حتى من الرؤوس والأكارع »<sup>(١)</sup> ولما قسم خير خير أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن من الأرض أو يضمن لهن مئة وسق كل عام (وهو نصيب كلٍّ منهن أيام النبي ﷺ ) ، فنهن من اختارت الأوسق ، ومنهن من اختارت الإقطاع<sup>(٢)</sup> فبقين مكفيات مؤونة العيش كما كن على عهد رسول الله ﷺ ، بل إن منهن من تبرمت بطاء عمر زهداً وورعاً :

لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها ، فلما أدخل عليها قالت : « غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي أقوى على قسم هذا مني » قالوا : « هذا كله لك » فقالت : « سبحان الله ! » واستترت دونه بثوب وقالت : « صبوه واطرحوه عليه ثوباً » ففعلوا فقالت لبرزة بنت رافع : « أدخلني يدك فاقبضي منه قبضة فاذهي إلى آل فلان وآل فلان » من أيتامها وذوي رحمها ، فقسمته حتى بقيت منه بقية ، فقالت لها بربعة : « غفر الله لك ، والله لقد كان لنا في هذا حق » قالت : « فلكم ما تحت الثوب » فكشفت الثوب فوجدت

(١) الطبقات لابن سعد

(٢) الخراج لأبي يوسف ١٠٦

خمسة وثمانين درهماً ، ثم رفعت زينب يدها وقالت : « اللهم لا يدركني عطايا عمر بعد عامي هذا <sup>(١)</sup> » فاتت وكانت أول أزواج النبي لحوقاً به .

هذا وقد رغبت أمهات المؤمنين في الحج فاستأذنَ عمر فأبى أن يأذن لهن حتى أكثرن عليه فقال : « سآذن لكن بعد العام وليس هذا من رأيي » فلما أردن الحج جهزهن وأرسل معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وأمرهما أن يسيراً أحدهما بين أيدييهن والآخر من خلفهن ولا يسايرهن أحد ، وقال : « فإذا نزلن فأنزلوهن شعباً ثم كونوا على باب الشعب لا يدخلن عليهن أحد » ثم أمرهما إذا طافن بالبيت ألا يطوف معهن أحد إلا النساء ، فلما هلك عمر غلب من بعده <sup>(٢)</sup> . ولو أن غيرهن طلب هذا الطلب مالا ان عمر ، ولكنه رحمة الله كان شديد التمعظ لقدرهن كبير الرعاية لحرمتين .

وسار على سيرة عمر فيهن الخليفة عثمان بن عفان بعده ، فقد « حج بأزواج رسول الله ﷺ كما كان يصنع عمر ، فكان عبد الرحمن بن عوف في موضعه ، وجعل في موضع نفسه سعيد بن زيد : هذا في

(١) السبط النماني ص ١١١

(٢) الرياض التضرة ٣٣/٢

مؤخر القطار وهذا في مقدمه<sup>(١)</sup> ، على أن منهن من كانت شديدة الصلابة في أمر الخروج من البيوت فلم تخرج أبداً . فقد ذكروا أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع : « هذه ثم ظهور المحرر » يعني أن لا حج لمن بعد هذه الحجة ، فكان كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة كاتتا تقولان في ذلك : « لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ »<sup>(٢)</sup> .

لبت أمهات المؤمنين إلا من ذكرنا يخرجن إلى الحج كلاماً استطعن أيام عمر وعمران « يختضبن بالحناء وهن حرم ويحججن بالمعصرات<sup>(٣)</sup> » يعرف الناس لهن من الاحترام والإجلال ما خصهن الله به ، حتى إذا اقضت أيام عمر ، واشتد النفور بين عمار وبعض الرعية ، كانت يوتهن ملجاً الطرفين على السواء ، وكانت نصائحهن نافذة يخضع لها الكبير والصغير .

ولعل من الخير أن ثبت لك شاهدأ على ذلك : حواراً دار بين أم سلمة أم المؤمنين وال الخليفة عثمان بن عفان . قالت أم سلمة لعثمان وهي تعظه<sup>(٤)</sup> :

(١) الطبرى ٢٧/٣ مطبعة الاستقامة

(٢) السبط الثمين ص ١٠٥ وقال أخرجه أحمد

(٣) طبقات ابن سعد ٤٩/٨

(٤) أمالى الزجاجي ص ١٢٥ (المطبعة محمودية التجارية) ١٩٣٥

«ياني مالي أرى رعيتك عنك نافرين، ومن جنبك مُز وَ دين<sup>(١)</sup>»  
لانتف<sup>(١)</sup> طريقاً كان النبي ﷺ لحبها<sup>(١)</sup>، ولا تقتدح زندأاً كان  
أكباهما، توخَّ حيث توخِّ صاحباك ، فانهانكما<sup>(١)</sup> الأمر نكمأ لم  
يظلموا أحداً فيلاً ولا قيراً، ولا يختلف إلا في ظنين<sup>(١)</sup> هذه حق  
بني قضيتها إليك ولـي عليك حق الطاعة ». .

**فقاول عثمان :**

«أَمَا بَعْدَ فَقَدْ قُلْتِ وَوَعِيتُ، وَوَصَيْتِ فَاسْتَوْصِيتُ، وَلِي عَلَيْكَ  
حَقَ النَّصْتَةِ: إِنَّ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ الْغَرَّةَ تَطَأَطَّلُهُمْ نَطَأْطُ الدَّلَّةِ،  
أَرَانِيهِمُ الْحَقَ إِخْرَانًا، وَأَرَاهُمُ الْبَاطِلَ إِيَّا يَ شِيْطَانًا، أَجْرَرْتُ الْمَرْسُونَ  
مِنْهُمْ رَسْنَهُ، وَأَبْلَغْتُ الرَّاتِعَ مَسْقَانَهُ، فَتَفَرَّقُوا عَلَى فَرْقًا: صَامَتْ صَمْتَهُ  
أَفْذَذْ مِنْ قَوْلِ غَيْرِهِ، وَمَزِينَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَأَنَا مِنْهُمْ بَيْنَ أَلْسُنَةِ لَدَادٍ،  
وَقُلُوبِ شِدَّادٍ، وَسَيِّفِ حَدَّادٍ. أَلَا يَنْهَى حَلِيمٌ سَفِيهً؟ أَلَا يَعْظِمُ عَالَمٌ  
جَاهِلًا؟ عَذِيرِي اللَّهُ مِنْهُمْ يَوْمٌ لَا يَنْطَقُونَ وَلَا يَؤْذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ.»<sup>(2)</sup>

(١) مزورين : مبتدئين . لاتفع : لاتفع . لحب : أوضاع . نكاحاً الأمر لزماه  
ولم يحذا عن الحق . الظنين : المتهم .

(٢) الفترة : السفلة والرعام . تطاؤلات : انحنيت ( يريد تواضعه وخصمت ) .  
الدلاة : الذين يستخرجون ماء البئر بالدلو . المرسون : الذي عليه الرسن ، وأجره  
رسنه : تركه رعمي ، كف شاء

## الفصل الخامس

### منزلتهن الاجتماعية ومشاركتهن في الأمور العامة

لم يتع لأحد من أمهات المؤمنين أن يكون لها أدنى أثر في السياسة نظرها الفرعية العامة على عهد الخليفتين أبي بكر وعمر ، فأنهما كانا من الكفاية بحيث غطيا على الفحول المحنكين من الرجال فما بالك بالنساء ، لقد اقتصر شأنهن على الرواية والتحديث : يُستفتين في المسائل من أمور الدين وخاصة فيما لا يعانيه إلا النساء ، فبقرين بعد وفاة الرسول مثابة روايد الفقه وحملة الشريعة ، وهذا من حكم الله ورحمته بهذه الأمة إذ جمل من أزواج صاحب الرسالة من تعيد سيرته المطهرة خمسين سنة تنشر تفاصيلها للناس ، كان الوحي لم ينقطع وكأنهم من أواره في شمس لا يلهم بها أفال ولا تحجبها ظلمة ، وليس كل السنة يتسمى للرجال معرفتها ، ولو لا ما نشرن منها لضاع علم كثير .

ومن رجع إلى أمات كتب الحديث ودواوين السنة وخاصة المساند منها ، فرأى مادوى منها عن أمهات المؤمنين لها تأثير كثيرة ،

لقد كانت يوْمَن مدارس لنشر الحديث ، وتهافت الرواد عليهم من كل جانب وتنافسوا في الأخذ عنهم كل التنافس <sup>(١)</sup> . ولقد روى عن عائشة وحدها ربعة سنين – على ما يقول الحاكم – وهو شيء عظيم جداً .

حتى أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة كثيراً ما كانوا يسألونهن في دقيق المسائل وجلاللهما .

لـكـنـنـ لـكـنـنـ لما انتشرت الأمور على عثمان آخر خلافته ، أصبحـنـ يـقـصـدـنـ لـغـيرـ الـاستـفـتـاءـ وـالـرـواـيـةـ وـالـعـلـمـ ، أـصـبـحـنـ يـقـصـدـنـ منـ الرـعـيـةـ الثـائـرـنـ عـلـىـ إـمـامـهـمـ (ـلـيـدـخـلـنـ)ـ فـيـ السـيـاسـةـ وـلـيـحـمـلـ إـلـيـمـامـ عـلـىـ تـفـيـيرـ

(١) عدة من روى عن السيدة عائشة وحدها بلغوا نحو العشرين ، تجد أسماءهم في الرسالة التي نشرها قبل شهر للحافظ الذهبي في سيرتها (سير النبلاء ١١/٢ - ١٧ ) وفي (الإجابة لإبراد ما استدركته عائشة على الصحابة) المزركشي (ص ٤٠) وفي الحاشية ص ٤١ ، ٤٢ ) هذا وغير ما يصور لك مكانهن : سمو نفوس الرواة إلى شرف الأخذ عنهن حتى استشهد بعضهم نوعاً من الكذب ليعد في جملة الرواة عنهن ، جاء في (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ ص ٩) هذه الأفوكوهة : وروى سهيل بن ذكوان أبو السندي عن عائشة - وزعم أنه لقيها بواسط ... وهكذا يكون الكذب ! فموت عائشة كان قبل أن يحيط الحجاج مدينة واسط

بدهر !! اه

خطته وإصلاح سيرته ، وصار يرسل إلىهن الخليفة عثمان أيضاً  
ليكتبون من شهادته هذه الثورة ، فلم يقصر أغلبهم في النصح لکلا  
الطرفين . وهذا غاية ما يصل إليه نفوذ أرباب الرعامة :

لما أراد أهل الأمصار دخول المدينة في الشكوى على عمال عثمان  
استأذنوا أزواج النبي ﷺ عليه وطحة والزبير وقالوا : «إنا نأتكم  
هذا البيت ونستعن من عماننا» وشكوا إلى أمهات المؤمنين وإلى  
الصحابة قتل ابن أبي سرح رجلاً منهم لأنه شكا .. الخ .

ثم آلت الأمور من سيء إلى أسوأ، وأهل الأمصار آمنون على أنفسهم  
إذ دخلوا باذن أزواج النبي ﷺ وسلم ، فلما شتد الأمر وحصور عثمان  
ومنع الماء ، استنجد أول ما استنجد بهن ، فصرن يسرى بن إليه الماء ،  
ووصلت إليه أم حبيبة على بنتها لها بر حالة مشتملة على إداوة فقيل : «أم  
المؤمنين أم حبيبة» فضرب الشارون وجه بنتها .. الخ (١)

وحسبك لتعرف مقدار نفوذهن على الجماهير : أن مروان بن  
الحكم لما رأى السيدة عائشة خارجة إلى مكان تريد الحج ، رغب إليها  
أن تبقى ، قاتلاً لها : «يا أم المؤمنين : لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا

هذا الرجل . . . »<sup>(١)</sup> فلم تفعل . بل إن الخليفة عثمان بن عفان نفسه يقر هذه المنزلة العظمى لمن بعمله قوله ، ويذعن لأمرهن في نصب الولاية وعذلهم ، فقد كان في جملة الدفاع المسبب الذي أرسله — وهو محاصر — يستجده به المسلمين والمؤمنين ، وقد تلي في موسم الحج سنة خمس وثلاثين : قوله وهو يصف شعب التأثرين عليه وزواله على كثير من مطاليبهم :

« وجئت نسوة النبي ﷺ حتى كلامهن فقلت : « ما تأمرني ؟ »  
فقلن : « تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ، وتدع معاوية فاما أمره أمير قبلك فإنه مصلح لأرضه ، راض به جنده . واردد عمر فأنت جنده راضون به وأمره فليصلح أرضه . . فكل ذلك فعلت ... »<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر السابق . ولعل أعظم مأساة على الخليفة الرابع أمره ، كونه عائشة خصما له ، ولو لا أنها خرجت عليه ما استجابت الجماهير لطلحة والزبير ، فإنها لم يصمتا يوم الجل إلا بعائشة ، ولو لا اشتغال علي بهذه الخصومة لات أماوره إلى غير المال المروف . لقد قوست رضي الله عنها بناء خلافته تقوضاً بما لها من نفوذ وحرمة في نفوس الجماهير .

(٢) الطبرى ٣ - ٤٣٦ مطبعة الاستقasa

إلى هذا الحد بلغت منزلتهن في المجتمع الإسلامي وفي نفوس المسلمين ولا لهم ورعيتهم . ثم كان الخلفاء بعد هذا المحرج يكتبون إليهن في المسألة من الدين ، ويذعنون لنصحهن ، ويحترمون من دخل ملتجئاً بيتهن .

★ ★

وبعد ، فان الإمام ابن حزم الظاهري قد ألف رسالة «في المفاضلة بين الصحابة»<sup>(١)</sup> ذهب فيها إلى أن أزواج النبي صلوات الله ساز الصحابة عليه أفضل الخلاقين بعد الملائكة والنبيين . واحتج لمذهبها هذا بما لغاية بعده ، ورد كل اعتراض يمكن أن يعترض به عليه ، مستندًا إلى النصوص الصريحة من القرآن الكريم والحديث الصحيح ، وليس يسع أحدًا قرأ هذه الرسالة إلا أن يقره على دعواه . ونحن هنا إذ نخبل القارئ على رسالته تلك القيمة ، نورد منها على سبيل المثال هذه الفقرة فقط :

(١) رسالة كنا عثرنا عليها مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، فحققناها وشرحناها خدمة لبحثنا هذا : إذ رأيناها مقصورة على هذا الموضوع وهو تفضيل أمهات المؤمنين على جميع الصحابة . وقدمنا بين يديها دراسة مستفيضة بكرًا عن الإمام ابن حزم وأصدرتها المطبعة الماشية سنة ١٩٣٩ م باسم (ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة )

«إنه لاتعظيم يستحقه أحد من الناس في الدنيا بایحاب الله تعالى ذلك علينا ، بعد التعظيم الواجب علينا للأنبياء عليهم السلام : أوجب ولا أوَّلَدْ من التعظيم الواجب علينا لنساء رسول الله ﷺ يقول الله تعالى: «النبيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتُهُمْ» فأوجب الله تعالى لهن حكم الأمة على كل مسلم . هذا سوى إعظامهن بالصحبة لرسول الله ﷺ، فلهن حق الصحابة له كسائر الصحابة ، إلا أن لهن من الاختصاص في الصحابة ووكيد الملازمة له عليه السلام ولطف المنزلة معه والقرب منه والحظوة لديه ما ليس لأحد من الصحابة ، فهن أعلى درجة في الصحابة من جميع الصحابة . ثم فضلن جماعة الصحابة لحق زائد وهو حق الأمة الواجبة لهن كلهن بنص القرآن . فوجدنا الحق الحق الذي به استحق الصحابة الفضل قد شر كنهم فيه وفضلتهم أيضاً ، ثم فضلتهم بحق آخر زائد وهو حق الأمة . ثم وجدناهن : لاعمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة إلا ولمهن في ذلك مثل ، ما فيهن من الصحابة : فقد كن يجهدن أنفسهن على ضيق عيشهن ، على الكد في العمل بالصدقة والعتق ، ويشهدن الجهاد معه ﷺ .

وفي هذا كفاية بينة في أهنن أفضل من كل صاحب <sup>(١)</sup> « ولعلك بعد، لم تنس كلمة عمر آنفاً قد لفست نظرك إليها ص ٩٦ وقد أشاروا عليه أن يبدأ في فرض العطاء بنفسه فقال: « لا ، ولكنني أضع نفسي حيث وضعها الله ، أبدأ بال رسول الله » <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

(١) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاصلة بين الصحابة ص ١٨٥ - ١٨٦

(٢) لقد بلغ من شأن هذه الطبقة (أمهات المؤمنين) ، أن أفردهن جماعة من العلماء بالتأليف المستقل ، فمن فعل ذلك : أبو عبيدة معمر بن المنفي ، وزهير بن

العلامة المبسوبي والمحب الطبرى وغيرهم ، انظر كتاب : (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التورىخ) للحافظ السخاوى ص ٩٣ ، ٩٣ مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٤٩ هـ

هذا ولم يطلع على شيء من هذه المؤلفات إلا كتاب الحب الطبرى فإنه طبع بالطببة العلمية بحلب سنة ١٣٤٦ هـ واسمه (السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين).

وقد اطلعت على جزء صغير مخطوط في الخزانة الظاهرية بدمشق اسمه (الم منتخب من كتاب أزواج النبي المزبور بن بكار ) رقمه ( بمجموع ٤١ - ابتداء من الورقة ١٢٣ ).

وبالظاهرية أيضاً جزء فيه (تسمية أزواج النبي وأولاده) لأبي عبيدة معمر بن المنفي رقمه ( عام ٤٥١٤ ) .

وفيها (كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين) لأبي منصور عبد الرحمن بن عساكر أورد أربعين حديثاً في مناقبهن .

وذكر ياقوت أن لأحمد بن كامل بن خلف أحد أصحاب الطبرى ، المتوفى سنة

٣٥٠ هـ كتاب « أمهات المؤمنين » - [إرشاد الأربعين]

## خاتمة

كان الداخل في مسجد رسول الله ﷺ على عهده ، يرى يوتاً من جريد النخل مستوراً بمسوح الشعر ، مصفوفة تسع حجرات في شرق المسجد وشماليه وقبيله ، ولم يُبن منها شيء جهة الغرب ، ويرى لحجرة عائشة مصراعاً واحداً من عرعر أو ساج ،<sup>(١)</sup> وأبواب الحجرات التسعة شارعة إلى المسجد .

بقي المصلون والزارون من جميع الأقطار ، ينعمون بعرأى يوت النبي هذه معتبرين خاسعين لجلال الذكرى ... إلى أن كانت خلافة الوليد بن عبد الملك ، فأمر بهدمها لتدخل في المسجد . وإليك رواية شاهد عيان :

قال عطاء الخراساني :

« أدركت حجرات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود ، فحضرت كتاب الوليد

(١) وفاة الوفاء ص ٣٢٥ - ٣٢٧ وعن هذا المصدر أقوال الشهود التالية

ابن عبد الملك يُقرأ : يأمر بهدم حجر أزواج النبي ﷺ ، فـأـرـأـيـتـ يوماً أـكـثـرـ بـاسـكـيـاـ من ذلك اليوم . وسمعت مسعود بن المسيب يقول : « والله لوددت أنهم تركوها على حالها . ينشأ ناشي من المدينة ، ويقدم قادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته ، ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها . »

وقال شاهد آخر وهو عمران بن أبي أنس : « ... فلقد رأيتني في المسجد وفيه نفر من أبناء أصحاب النبي ﷺ ، وإنهم ليـكـونـ حتىـ أـخـضـلـ الدـمـعـ لـاهـ ، وـقـالـ يـوـمـذـأـبـوـأـمـامـةـ : « ليـهـاـ تـرـكـتـ حتىـ يـنـقـصـ النـاسـ مـنـ الـبـنـيـانـ ، وـيـرـواـ مـاـ رـاضـيـ اللهـ لـبـنـيهـ ﷺ وـمـفـاتـيحـ خـزـانـ الدـنـيـاـ يـدـهـ ! »

ونحن نقول : ليـهـمـ تـرـكـوـهـاـ فـيـتـبـرـ مـعـتـبـرـ ، وـيـزـهـدـ طـامـعـ ، وـيـذـكـرـ غـافـلـ ، وـيـخـشـعـ خـاطـعـ .

\* \* \*

رحم الله أمهات المؤمنين، ورضي عنهم، وجزاهم عن الأمة خيراً.

### ملحق

#### المرأة والسياسة<sup>(١)</sup>

الحكم في هذه القضية لسنة الله في المرأة ، وما فطرها عليه من خصائص غريزية (فسيولوجية) وعاطفية وفكرية ؟ خصائص قاهرة لا يد للإنسان في تحويتها إلا حين يستطيع تحويراً في تركيب الدماغ وبنية خلاياه ، أو حين يبدل في وظائف الأعضاء فيذوق بأذنه أو يسمع بقدمه .

إنها فوارق بين الرجل والمرأة أزلية أبدية ، اقتضتها الحكمة الكونية العميقة التي تعنى دائماً بالتمييز الدقيق ، عناية تتطلبها عمارة هذه العالم القاعدة على تقسيم الأعمال وتيسير كل من الكائنات إلى ما يلائمه وما خلق له ، وكل مجتمع يحاول بُناته إلقاء تلك الفوارق الواضحة بين أعمال الجنسين فصيده إلى الاضطراب والفساد : لأن ذلك ثوررة على الطبيعة ، وما كان ثوررة على الطبيعة فهو الضرر كل الضرر ؛ ولا يرجى له دوام ، وإن خُيّل لبعض الأفراد والجماعات ( سطحية في تفكيرهم أو توصباً لمذهبهم ) إمكان الاستمرار عليه .

والطبيعة في هذا حكمها واحد لا يختلف باختلاف الأمم ولا

(١) هنا ينتهي كتاب (الاسلام والمرأة) في طبعته الاولى ، فرأينا - إنما - لفائدة - أن نلحق به فصلين المؤام من كتابه (عائشة والسياسة) لشدة علاقتها ب موضوع المرأة اليوم - دار الفكر

بـاختلاف الأعصار والأمسـار ، ولا بـتفاوت المجتمعـات رقـياً وـالحطاطـاً  
وـلا بـتبـانـ الأفراد تـرـية وـنـقاـفة .

المـرأـة نـظـام الأـسـرة وـسـيـدة الـبـيـت ، فـهـا اـحـتـلت اـتـخـرـجـها عـمـا خـلـقـت  
لـهـ من رـعاـيـة أـطـفـال وـبـرـ زـوـج وـتـدـبـير مـنـزـل ... فـاـنـما تـحـاـول خـرـقاـ  
لـقـاـنـون طـبـيعـي ، إـنـ أـنـتـ وـفـقـتـ إـلـى إـطـالـة هـذـا الشـذـوذ أـزـمـانـاـ فـلـنـ  
يـخـرـجـهـ العـهـد الطـوـيل وـلـا العـرـفـ المـنـحرـفـ عنـ أـنـ يـكـونـ شـذـوذـاـ  
يـقـذـيـ العـيـنـ وـيـصـدـمـ الفـؤـادـ .

فـنـ الـبـدـيـهيـ إـذـا أـنـ تـكـونـ قـيـادـةـ الـجـيـوشـ وـإـدـارـةـ الـمـصالـحـ الـعـامـةـ  
وـتـدـبـيرـ الـمـالـكـ وـسـيـاسـةـ النـاسـ ... فـنـ الرـجـالـ الـخـاصـ كـاـنـ أـلـأـمـومـةـ  
وـمـا إـلـيـهـا فـنـ نـسـوـيـ مـعـضـ . وـلـئـنـ حـفـظـ التـارـيـخـ شـوـاهـدـ عـدـيدـةـ فـيـ قـيـامـ  
الـمـرأـةـ بـشـؤـونـ السـيـاسـةـ وـإـلـادـارـةـ ، إـنـيـ لـاـ أـجـدـ فـيـ هـذـهـ الشـوـاهـدـ كـلـهـاـ  
مـاـيـعـسـ هـذـهـ القـاعـدـةـ ، بلـ أـقـرـ أـنـهـاـ كـلـهـاـ تـؤـيـدـهـاـ ؛ وـلـأـيـ مـثـقـفـ كـانـ  
أـنـ يـسـرـدـ مـاـفـيـ حـفـظـهـ مـنـ مـلـكـاتـ أوـ قـائـدـاتـ أوـ زـعـيمـاتـ أوـ مـدـبـراتـ مـلـكـ  
أـوـ نـائـبـاتـ فـيـ الـجـالـسـ ... الخـ ثـمـ يـسـتـقـرـيـ أـحـواـلـهـنـ وـاحـدـةـ وـاحـدـةـ ،  
وـيـعـنـ فـيـماـ حـفـ بـهـنـ ، فـسـيـدرـكـ أـنـ أـكـثـرـهـنـ كـنـ مـسـيـئـاتـ يـتـصـرـفـهـنـ ،  
عـدـنـ عـلـىـ بـلـادـهـنـ بـأـسـوـأـ الـمـوـاقـبـ .

الـحـقـ أـنـ إـلـادـارـةـ وـسـيـاسـةـ تـقـضـيـانـ بـمـدـاـ فيـ التـفـكـيرـ ، وـمـنـطقـاـ

سديداً، وحساباً دقيقاً للعواقب، وصبراً مضنياً، وضبطاً للمواطف وكمحاً للاهواه والنزوات . . . إلى صفات كثيرة كلها يعوز المرأة بل يعوز أكثر الرجال، فلا عجب أن كان اضطراب الأمور ودخول المرأة في السياسة قريين في التاريخ لا يفتر قان إلا حين يدبر الأمور المرأة وزراء حصيفون من وراء ستار؟ ومع هذا فقلما خلت امرأة — منها حف بها من خول محنكين — من طامع فيها مستغل لضعفها. وما أكثر ما حفظ التاريخ من سير عروش كان الفرام هو الحكم في ممالكتها. وهناك كلمة متداولة منذ القدم، لاأشك في أنها عصارة التجارب على الزمن، وهي قولهم : «المرأة ريحانة وليس بقهرمانة».

ويجيئني في ذلك حكم ظريف أصدرته الكوتنس أوف أكسفورد،

قالت :

«هل تستطيع أن ترى امرأة صارت إلى منصب رئيس وزارة؟ إنني لن أستطيع أن أتصور نكبة أعظم من وضع هذه الجزر البريطانية تحت قيادة إحدى النساء في شارع دوننج رقم ١٠»<sup>(١)</sup>

(١) من كتابها (في السجلات) انظر المدد ٥٦٥ من مجلة الرسالة ص ٣٦٩ — هذا وأقرب عبرة مما وقع في فرنسا في هذه الحرب المالية الثانية من دس المرأة أنها في السياسة العليا وذهب فرنسا ضعية هذا (التدخل) حتى قال أندره موروا الأديب الفرنسي الأشهر: «إن الكوتنس (دي بورت).. متذنب في —

وللتصور نحن - على نسق الكونتس - أحوال المشتعلين بالسياسة في الشرق صحفيين وأحزاباً وزراء ونواباً ومن يتبع هؤلاء من محترفين ومرتزقة ... ، وما ينشأ من تزاحمهم وتکالبهم على المنافع من خصومات وعداء وجدل ومهارات وتراشق بالتهم والسباب ثم مظاهرات فيها اشتباك والتحام ، ثم ماينجم عن ذلك من قتلى وجرحى ومشوهين ومسجونيـن ... لنتصور ذلك وما إليه ، وللتصور معه أن النساء يشارـكن فيه الرجال بين محترفات وتابعات وداخلات في الأحزاب ومسـاهمات في المـهارات الصحفية وما إليها ؛ وأنـهن أيضاً نائبـات وموظـفات ، وأنـ كلـاً منـهنـ تهاـجمـ وتدـافـعـ ، وتنـقـيـ التـهمـ والـشـنـاعـاتـ وـتـرـيـ غـيرـهـاـ بـأـمـاثـلـهـاـ ...ـ وـقـدـ خـلـتـ مـنـهـنـ بـيوـهـنـ وـأـصـبـحـ الرـجـالـ وـالـأـطـفـالـ (ـرـحـلـاـ مـشـرـدـينـ)ـ فـيـ المـطـاعـمـ وـالـمـقـاهـيـ ،ـ إـذـ شـغـلتـ السـيـاسـةـ وـالـاتـخـابـاتـ مـنـ كـنـ يـقـمـ بـادـارـةـ بـيوـهـنـ ...ـ وـلـرـجـعـ بـعـدـ

- التاريخ (على أنها) المرأة التي خربت فرنسا... والنساء اللواتي على غرارها أدوات هدم لأنـ أدمـقـرـتـهـنـ التي تحـوكـ الدـسـائـسـ وـشـخـصـيـاتـهـنـ التي تـوـقـعـ الرـجـالـ لـاتـرـفـ حدـاـ للـلـاتـرـانـ ...

« وهكذا أصبحت الكونتس (دي بورت) من قواد الطابور الخامس الفرنسي وأصبح صالونها مرـكـزـ الـقـيـادـةـ » . - تـرـجـةـ الصـاوـيـ لـكتـابـ (ـمـأسـاةـ فـرـنـسـاـ)ـ لـأنـدرـهـ مـورـواـ صـ ١٠٣ـ ،ـ ١٠٥ـ .

هذا التصور إلى قوسنا : أُنجد فيها تعبيراً يفي بشناعة مجتمع كهذا ؟  
 حنانيك أيها القارئ ، أُعف نفسك وأعفني من فظاعة هذا التصور ،  
 وإنني لأشتقر لله لي وللك من خاطر يجعل مكان أولئك المحترفين بناتنا  
 وأخواتنا وأزواجنا وأمهاتنا : انصرف عن رعاية أسرهن فأخذن مكان  
 ذلك وهذا من نرى من خواض المهاجرات والتقالب على فتات  
 السياسات . إن مثل هذا المجتمع حالٍ من كل كرامة وحياة ، ولن  
 يكون منه لحياة الدعة والحنان والنبل والإنسانية أثر ما ، هذا مجتمع  
 خسر طعم السعادة منذ انهيار فيه بناء الأسر ذو الجو المحب العطر الجميل .  
 لقد سارت أمم غربية راقية في أوربة وأمريكة خطوات فسيحة في  
 تحصيل النساء أعباء سياسية ، فما أظفرها ذلك بطائل ، بل كانت نتيجة  
 التجربة أن صبح عقلاؤهم ومصلحوهم من تلك الأوضاع الشاذة الخارجة على  
 الفطر السليمة <sup>(١)</sup> .

(١) أحدثت ماقرأت في هذا الباب شكوكى الدكتور (الكسيس كاريل)  
 حائز جائزة نوبيل الطبية ، فقد نشرت له مجلة المختار من ريدرز دايجست (في المدد  
 ٣٦ من الطبعة المرية ) بحثاً عنوانه (لبن الأم حق طبيعي للطفل ) هذه الأحكام  
 التي وردت في كلامه عرضاً ، وهي مع ذلك - لقوتها في نفسه - تصور خير  
 تصوير انحراف المجتمع الحديث عن الفطرة ، وتأكيد - من قرب - ما ذهبنا إليه ، قال:  
 «... فلام في هذا المصلحين لها من تعليمها ولا عاداتها ما يحيثها للأمة  
 ومقتضياتها ... ويرى كثير من الأمهات أن عملهن ومستقبلهن وشهوتهن الاجتماعية  
 أهم من رعاية أطفالهن ، ولا يدركن أن المرأة إنما خلقت للأمة .

وليس تاريخ العرب يدع في تواريخ الأمم، فالحكم واحد كما أسلفنا  
فيث رأيت انحطاطاً في إدارتنا أو تقهراً في سياستنا أو انحلاًّا في  
مجتمعنا، فقتش نُهَّة عن المرأة .

وكتابنا هذا فيه أكبر عبرة انطوى عليها تاريخنا في هذا الموضوع  
ولم ينجنا من الماقبة الوخيمة : عاقبة دس النساء أنوفهن في السياسة ،  
أنْ كانت الزعيمة هنا متحلية بعزاها عقريدة قل أن يحوي مثلها رجال  
عديدون ، ولم ينجنا كذلك رغبتها القوية الخلصية في الإصلاح وابتغاء  
الخير للمسلمين .

— والأم في مصر الحديثة فريسة في محالب البيئة الاقتصادية والبيئة المقلية ،  
فقد ضرب المجتمع صفحًا عن قوانين علم الحياة ، وبخاصة قانون النسل . فالبنات قد  
حرمن معرفة العمل الذي خلقن له وجعلن قدره في حياة البشر ، بل صرن يتعلمون  
ما يتعلمون الصبيان ، وصرن بمنزلة الذكور : هن مالمهم في الحياة ، وعليهن ماعليهم ؛  
فصار على المرأة أن تمول نفسها كما يفعل الرجل . فكيف يتأتى لعاملة في مصنع أو  
مكتب ، أو لمدرسة أو محامية أو طبيبة أو تاجرة أو امرأة باحثة عن ملاذ الحياة  
أن ترضع طفلها ثلاثة أشهر أو أربعة هي الحد الأدنى للرضاعة ؟ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

هذه حسرة الرجل على اشتغال النساء عاملات أو مدرسات أو محاميات أو  
طبيبات ... وبعض هذه المشاغل كالطبع والتدریس ضرورة اجتماعية ظاهرة ،  
فماذا يقول وكم تبلغ شکواه ومرارته إذا بالغ النساء في الابتعاد عن الفطرة فاشتغلن  
نائبات أو سيمانيات .

والعرب يتداولون منذ بُخْر الإسلام حكمة الرسول عليه الصلة والسلام : « لن يفلح قوم أَسْنَدُوا أَمْرَهُم إِلَى امرأة »<sup>(١)</sup> ، وذلك جد معقول ، إذ أَسْنَدُوا الأمور إِلَى ضعيف غير ذي اختصاص .

\* \* \*

فإذا أنت جاوزت السياسة إِلَى الجهاد في الإسلام . رأيت المسألة تختلف بين يديك ، إذ تجد أنه ليس لأحد أن يحرم المرأة شرف الجهاد ، وأنها هي والرجل سواء في المطالبة به : كل بحسب استعداده واختصاصه ، فالرجال للقتال ، والمرأة لتمريض الجرحى ، والعناية بشؤون الجيش من نحو : إِسقاء وإِطعام ، وغسل وخياطة . ثم هي مع ذلك كله تحمس المقاتلين وتبصرهم العواقب السيئة التي تنتظرونهم وحرُّهم إذا هم تهاونوا في الدفاع .

وللمرأة العربية في هذا الميدان الموقف الحمود الذي لا يجارى ، كانت فيه مضرب الأمثال بشجاعتها وحسن بلائها وإِخلاصها .

(١) مسنـد أبي داود الطيالـسي ص ١١٨ الحديث ٨٧٨ (الجزء الثالث)  
وأنظر مسنـد أـحمد أـحمد ٤٣٥، ٤٧ . وفي صحيح البخارـي أنـ أـبا بـكرـة كانـ يقولـ :  
« مـلـحـوبـتـ منـ فـتـنـةـ وـقـمـةـ الجـلـ إـلـاـ لـمـ تـذـكـرـتـ منـ قـوـلـ رـسـوـلـ اللهـ : لـنـ يـفـلـحـ قـوـمـ  
وـلـواـ أـمـرـهـمـ اـمـرـأـةـ » وـسـتـرـىـ أـيـ فـتـنـةـ نـجـاـ مـنـهـ أـبـوـ بـكـرـةـ !

وعلى هذا درجةً من قبلٍ أضافً في جاهليتها ، فكان إليها في  
الحروب الترخيص والعناد بالجرحى وسقي الماء وتحميس المحاربين<sup>(١)</sup> .  
ثم جاء الإسلام ففتحت عينها — لما أظلمتها رايته — «على رجال غير  
الرجال ، ومجتمع غير المجتمع ، ودين غير الدين ، فكانوا ينشطون من عقال ،  
فشررت عن ساعدك وأخذت من هذا الدين الجديد نصيتها الأولى ، وكان  
شكراً لله عليه شكرًا عملياً :  
قاست في أوله ما قاسى الرجال من عذاب وهجرة واضطهاد وأذى ،  
ثم انتظمت في صفوف المقاتلين إعلاءً لكلمة الحق ، وذودًا عن دين  
الله عن رسوله ، فقاسمت الرجل شرف الجهاد ، وآمنت بثوابه وكرامته ،  
وليس بعد بذلك الروح غالية في الشكران»<sup>(٢)</sup>

صحب رسول الله ﷺ النساء في مغازييه ، وأبلين معه البلاء الحسن ،  
فكأنّ نعم العينات للمحاربين . يداوين جراحهم<sup>(٣)</sup> ، ويحملن إليهم الماء  
في القرب يسقينهم ، ويتعبدن أطعمةهم ، وملابسهم وقربهم . وكأن  
أحياناً يمارسن القتال :

(١) انظر كتابنا (الإسلام والمرأة) ص ٢٠ .

(٢) عن كتابنا السابق ص ٣٧ .

(٣) أقام الرسول خيمة في مسجده لرفيدة إحدى ممرضات الجيش وحمل إلى  
خيمتها سعد بن معاذ وهو مرتب (مشيخ بالجراحة) .

في طبقات ابن سعد : « شهدت أم عماره بنت كعب أحداً مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها ، وخرجت معهم بشن لها في أول النهار تريد أن تسي الجرحى ، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاه حسناً وجرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة برمج أو ضربة بسيف . »

وتابعت المواقف المؤثرة للمرأة من بعد الرسول ، وحفظ التاريخ لنا أسماء بطلات من مواجهات الصحابة : كنسينية وصفية . ولن ينسى أحد جهاد خولة بنت الأزور أخت ضرار وحسن بلائها في الروم ، ولا موقف الخنساء في يوم القادسية ، وكانت واحدة من كثيرات . وقد « قتلت أم حكيم يوم (Margin الصفر) سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالد بن سعيد بن العاص معرضاً بها <sup>(١)</sup> ».

وذكر الطبرى عن أم كثير امرأة همام بن الحارث التخمي قالت : « شهدنا القادسية مع سعد (بن أبي وقاص) مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فُرغَ من الناس شدتنا علينا نياينا ، وأخذنا المراوى ثم أتينا القتل : فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، وما كان من المشركيين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك ونصرفهم فيه <sup>(٢)</sup> .

(١) طبقات ابن سعد .. كانت وقفة Margin الصفر في الحرم سنة أربع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٨٢ (مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٨ھ) وإلى هذه الطبعة نشير فيما يستقبلك من نقول الطبرى .

وإذ كانت هذه الواقعة من الخطر بحيث أنها هي الفاصلة بين العرب والفرس ، وأنها لها ما بعدها ، استعدت لها القبائل بكل ما تطيق حتى أن التاريخ ليذكر لقبيلتين من القبائل خرآ خالداً إذ أخرجتا نساءهما معهما ، فكان في قبيلة النخع - على ما يذكر الطبرى - سبعينات امرأة لا أزواج لهن ، وفي قبيلة بمحيلة ألف امرأة ، تزوجن جميعاً في هذه الحرب ، وكانت النخع تسمى : أصحاب المهاجرين .

لقد شرع الرسول الاستعانة بالنساء في الجهاد ، وأنابهن عليه من النساء ، ودرج خلفاؤه من بعده على سنته ؛ حتى إذا انقضى عهد الراشدين ، وخف علم الناشئين بالسنة ، شك بعضهم في هذه الاستعانة ، فكتب نجدة بن عامر الحروري إلى ابن عباس يسأله : « هل كان رسول الله ﷺ ينزو بالنساء ، وهل كان يضرب لهن سهاماً ؟ ». فكتب إليه ابن عباس :

« كتبت إليّ تأساني : هل كان رسول الله ينزو بالنساء ؟ وقد كان ينزو بهن فيداوين المرضى ويُحذّرنَ (يُعْظَمَينَ) من الغنيمة »<sup>(١)</sup> . كل ما تقدم من استحباب خروج النساء ليشاركن الرجال شرف الجهاد ، هو في حال الفتح والهجوم حين يكون المجاهد فرض كفایة

على الرجال أنفسهم ، فاما إذا انكس الأمر وهاجم العدو بلاد المسلمين أو احتلها ، فيئذ يصبح المجاهد فرض عين على كل مسلم ذكر أكان أم أنثى ، لا يستثنى من هذا الفرض صبي ولا امرأة ولا رجل ، نص الفقهاء في هذه الحال على أنه يجب على المرأة أن تخرج إلى القتال بلا إذن زوجها <sup>(١)</sup> . وبذلك يصبح التكليف والوجوب بدرجة واحدة على الرجال والنساء والصبيان والأحرار والعبيد لا يستاذن أحد أحدها في تأدية هذا الواجب <sup>(٢)</sup> .

★ ★

من شأن السياسة المزالت الخفية الخطيرة ، فهي على المرأة حرام<sup>٣</sup> صيانة للمجتمع من التخبط وسوء المنقلب ، أما المجاهد فطريق لاحبة مضمونة الخير . فللمرأة أن تأخذ من هذا الشرف نصيبها الأولي .

(١) انظر في ذلك : باب السير أو المجاهد في كتب الفقهاء مثلاً : شرح الزيلعي على متن الكتبة ٢٤١ / ٣ والحكم مشهور لأن الإسلام لا يقر احتلالاً لا جندي بحال من الاحوال ولا يرضى لأهله حياة ذليلة .

### عبرة الحوادث<sup>(١)</sup>

الآن ، وقد بلغت بك نهاية الحديث عن السيدة عائشة و مفامراتها السياسية و آثارها القرية و البعيدة في حياة المسلمين ، أو دعك موصياً أن تجعل بالك أبداً — كلام قرأته التاريخ — إلى عبره و تجاربه ، فتأخذ من كل شيء أحسنه ، و تربأ بنفسك و بأمتك أن تفamer في تجربة ثبت ضررها و فسادها ، وخاصة إذا كان الثمن الذي قدمناه فيها دماء عشرات الألوف . وأنا أريد أن أختم كلامي بالنص على عبرتين انتتين من هذه العبر الكثيرة التي تعرض لقارئ هذا الكتاب : تقدّانا ما نحن فيه اليوم من تحبط ، و تثيران لنا طريقاً طال تعسفاً في المتأهّات دون أن نهتدى إليه :

أما الأولى : فهي أن المرأة لم تخلق قط لتدرس أنها في المنازعات السياسية . إن لها أن تنسح وتبصر القريبين منها بعواقب الأمور ، وليس لها أن تشارك في القلاقل والاضطرابات والفتنة . إن يدها مفاتيح خطرة في التأثير في نفوس الجاهير وفي استغلال حميمهم ونحوهم ومشاعرهم . وهذا السلاح غير حميد في العواقب ولا يصح استعماله

---

(١) خاتمة كتاب (عائشة والسياسة) للمؤلف ، ص ٢٨٥

بحال ، وقد أبنت لك أنه لو لا موقف السيدة عائشة في أمر عثمان ثم المطالبة بدمه من بعد لتغير مجرى الحوادث في تاريخنا التغير كله ، ولسارت سيرًا مأموناً مطرد الرقي مباركاً ، فيه الخير كل الخير للأقطار الإسلامية .

وكان الله الذي جعل النساء لتنشئة الرجال وتربية الأجيال وإدارة البيوت ، أراد أن يعظ المسلمين عظة عملية لاتنسى ، كلفتهم كل تلك الدماء المهراقة ، وبفختمهم بالألوف من الصحابة والأجلاء المهاجرين والأنصار ومن الفحول المذاوين من أبطال الفتح وأعظم الفقهاء وأساطير القراء ورؤوس الناس ... ليعلموا : أنَّ لو كان أمر من أمور الرجال الخاصة بهم يقوم بأمرأة ، لقام بهذه السيدة الحصيفة التي أوتيت من الموهاب والذكاء والعلم والبلاغة والصلاح ... ما لم يؤته رجال كثيرون مجتمعين ، والتي جمع الله فيها من المآثر العظام ما تفرق في العدد العديد من الفحول .

لقد خلدت حرب الجمل مناراً في تاريخ المسلمين : كلما نزغ بهم نزع من تقليد أعمى لغيرهم من الأمم ، أو منْ من رجعية ذميمة ، فهبطوا بالمرأة من الصيانة إلى الابتذال ، أو هُمْوا أن يخرجوا بها عما خلق لها وخلقت له ... قالوا لأنفسهم : أخفقت هذه التجربة في صدر

تارينا ؟ فما بنا من حاجة إلى أن نعيدها عيناً ، أو أن تهرق في سبيلها ثانية دماء جديدة ونخرب بيوناً عامرة .. ومن لنا مع هذا بمثل عائشة . إن هناك مجالاً واسعاً لنشاط المرأة حين تجد وقتاً فاضلاً عن شؤون التربية وإدارة المنزل ، تستطيع به أن تعلّم الأجواء خيراً ورحمة وإحساناً . هذه وجوه الخير مفتوحة الأبواب في وسع المرأة أن تتجه بها فتمارس أموراً عظاماً وتبذل محموداً مشكوراً يعود على أمتها بالายقل بما يأتيه الرجال الحسنون ثمرة وغناء وطيب أثر .

أمامها من ميادين الخير : التمريض وإسعاف الفقيرات من بنات جنسها بالعلاج والدواء والطعام والكساء . وفي مجتمعنا من المحتاجات ما يشغل عشرات الجمعيات الخيرية من النساء ولا يفي بحاجتهن عشرات المستشفيات .

وأمامها أيضاً كفاح الجهل في بنات جنسها ، فلتتشنى لهن المعاهد ذوات المناهج الصالحة لتنشئة الأمهات على ألا تستعير لها برامح الذكور (بعض التعديل) فقد ثبتت مع الزمن أننا حتى الآن لم نقم التعليم الصالح للبنات<sup>(١)</sup> .

---

(١) ينفي أن تكون أكثر مواد هذا التعليم بمحوناً واسعة تجربية في كل ما تحتاج إليه الأم في الصحة والدين وشؤون المنزل وتربيه البنين وحسن العشرة ... -

وهناك أمام المرأة العناية بتربيه اليتيمات وإنشاء (الميلاد) وتعهد  
أمهاتهن بالرعاية والتوجيه ثم إشاعة الثقافة الصحية بين النساء عامة .

ويجب أن ينشأ فيهن المخصصات في جميع الفروع التي يحتاج إليها  
النساء والأطفال وأن يكون منهن العدد الوافي بالحاجة بحيث يسددن  
عوز النساء في علاج أمراض العين والأسنان والأمراض الداخلية  
والجلدية وفي حاجات التوليد .

فإن كان ولا بد من زيادة فالي المساهمة في كفاح ما يتفشى في المجتمع  
من امتهان المرأة وإشقاها عن طريق البناء والقمار والخمور وغيرها من  
المفاسد التي صاق بشرورها المفكرون في الغرب والشرق .

لدى المرأة إذاً كثير من أعمال الإحسان تنتظر من يقوم بها ،  
وفي ذلك الخدمة الخلصية للأمة وإعمار البيوت وإفاضة الخير والسعادة  
في المجتمع ...

— لاخليطاً غير منسجم من نظريات الرياضيات ومعادلات الكيمياء وقوانين الطبيعة .  
ولتجمل التاريخ الذي يدرسه ملوكاً بسيراً الذين ضربوا المثل العليا للبشر في سمو  
النفس وابقاء الخير وخدمة الناس ، وفي الفضائل الحية من أشعوا الرحمة والصلاح  
والعدل والخير ، وكانوا للإنسانية حماتها إلا بطال الخلصين من رجالنا ونسائنا على  
السواء . ولتجنب سخنه لهن بأخبار القلائل والاضطرابات والفتنة والمحروب  
ومُمثل الفساد والطغيان .

ونحمد الله على أن في فضليات نسائنا من تحاول مسد هذه الثلة ،  
إلا أن نسبتهن قليلة جداً بالقياس إلى الباقي تشكين الجادة منتخبات  
على غير بصيرة ، فهجرن يومهن وأكلات أمورهن إلى الخوادم ،  
وطفقن يعارضن ما لا يعود عليهن وعلى أسرهن وأمتهم إلا بالضرر  
الخالص والإفساد الكبير : من إقامة حفلات ساهرة مخجلة ، وغشيان  
مجتمعات وأندية ، واقتحام أسفار ، وعقد مؤتمرات لا يبلغن فيها أمرأ  
نافعاً ، بل كثيراً ما يرجعن وقد سبقتهن أشأم الحوادث وأسوأ الأخبار ..  
ما يدع السامع ينشد قول جرير يخاطب الفرزدق :

وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزبة وتركت عاراً  
يقلدن بذلك نساء صبح عقلاً أمهن من أحواهن<sup>(١)</sup> ، وسقط

(١) وددت لو تفرغ طائفـة من علماء النفس إلى دراسة نفسية عميقـة للنسوة  
اللـاتي يطالبـن بالحقوق السياسـية في أوروبا وأمرـيكا والـلاتي استـرقـن (نشـاطـن)  
الـاجـتـاعـي كلـوقـتهاـنـ، فـلـعـلـ فيـأـعـماـقـ نـفـوسـهنـ هوـيـ سـجـيـقةـ وـمـرـارـاتـ أـلـيمـةـ وـعـلـلاـ  
وـشـذـوذـاـ ... وـشـمـورـاـ صـارـخـاـ بـنـقـصـ مـائـلـ لـأـعـيـنـنـ كـيفـهاـ تـوجـهـنـ ، فـأـنـ تـنـاسـيـهـ  
وـالـهـربـ منهـ بذلكـ (الـنشـاطـ الـاجـتـاعـيـ) . وـالـطـرـيفـ أـنـ هـؤـلـاءـ لمـ يـكـثـرـ عـدـدهـنـ  
إـلـاـ فيـ هـذـهـ السـنـينـ الـثـلـاثـيـنـ الـأـوـاـخـرـ ، حينـ فقدـتـ أـورـوبـةـ الشـعـورـ بـدـفـءـ الـأـسـرـةـ  
وـنـسـيـهـاـ وـرـوحـهاـ ، وـخـلـتـ الـبـيـوتـ منـ جـوـهـاـ الجـذـابـ جـوـ التـآـفـ وـالـجـمـعـ  
وـالـتـحـابـ وـالـتـعـاطـفـ ، وـأـصـبـحـتـ مـائـدـةـ الـبـيـتـ قـلـماـ يـجـتـمـعـ عـلـيـهـاـ اـئـمـانـ بـعـدـ أـنـ تـشـرـدـ  
أـفـرـادـ الـأـسـرـةـ وـتـبـعـثـرـواـ فـيـ الـمـطـاعـمـ وـالـسـهـرـاتـ . فـلـوـ كـانـ بـنـاءـ الـأـسـرـةـ مـتـاسـكـاـ

مقامهن فيها من كثرة هذا التبذل والعبث ، وعدهن على بناة جنسهن من البريئات بأبلغ الضرر لما لو ثُن من سمعة المرأة عامة . ليتنا إذ جتنا بالتقليد اخترنا من نقله ، في كل أمة من فضليات النساء النافعات ما يحسن الاقداء به ، ولكننا ننتقي أحط المبتذلات ثم نسبهن في الابتذال أشواطاً يخجلن هن أنفسهن من السعي إلية .

وأبعد من هذا ، أتنا إذا أمعنا في البيت وما يحتاج إليه تدبيره على خير نسق من علم واسع غير في الصحة والأخلاق والتربية وعلم النفس ، وسياسة الزوج والأطفال ، وسياسة المورد والمصرف ،

— متينا حبيباً كمهده أول ، ما كان المطالبات بحقوق الانتخاب والنيابة والوزارة والتمثيل السياسي وما إلى ذلك . وإذا أتساغ التصور السليم مثل هذا الشذوذ في روسية السوفيتية ، حيث كان يراد إقامة مجتمع لا بناء للأسرة فيه ، فإنه لا يتخيل مجال امرأة عضوة عاملة في أسرة ثم تكون مندفعة في تيارات السياسة وما إليها في وقت مما .

وؤددت أيضاً لو شرع الفتيول من رجال الإحصاء بدراسة تعرفنا نسبة ربات الأسر اللائي أنعم الله عليهم بالزوج والولد بين الطالبات بحق الانتخاب مثلاً ، ثم احصوا نسبة الجيلات منهن ، ثم .. إلخ .. أي لا تخشى أن تكون الكثرة الكارثة منهن من حر من الله الجمال والزوج والولد ، فتقمن على المجتمع نظامه وعلى الأخلاق قوانينها ، وعلى السعادة وجودها على الأرض ، وألبن على أنفسهن إلا يضعن الحرب حتى يتم العدل وجه الأرض ، وما العدل عندهن إلا هدم الأسر وانفacemente الزواج ، وسلطان الضمير ، ومحو السعادة جملة .

ورعاية ذلك كله .. وجدنا أن علم ذلك وإتقانه وحسن إمضاكه لا يكاد يبقي للمرأة القدرة ذات الموهب الجمة من فراغ أو جهد ، فكيف التوسطات بهل الضعفيات . إن ما يلزم لتصبح الأنثى امرأة (مشففة) ليتضاعل أمامه - في اعتقادي - كل ثقافة ثانية منها كانت رفيعة مفيدة . وعلى المرأة الجادة بعد ذلك واجبات عديدة تستطيع أن تشارك في شرف الخدمة فيها ، على شرط واحد : هو أن تنهي كل ما عليها من واجب نحو يتها وأسرتها أولاً ، وإنما يكون التطوع والصدقة والإحسان فيما فضل عنك من مال أو وقت أو جهد .

★ ★ ★

هذا ، ولست أقول إن المرأة لافع منها في باب السياسة ، أستقرر الله ، إن منها النفع كل النفع من طريق واحد فقط : هو أن تحلى بكل فضيلة رسما لها دينها ثم تنشئه عليها أولادها ، فما في امرأة فرطت بفضائل دينها من خير قط . والناس على حق حين يهملون كل أدب واحترام إذا رأوا امرأة جامحة على الآداب النسوية التي شرعاها الله . والدين للمرأة هو كل شيء في نظر زوجها ولدها وأسرتها والناس أجمعين ، فإذا جاهرت بشيء من الخروج عليه فقدت كل

احترام في النفوس، وانتقلت نظرة الناس لها دفعه واحدة من التقديس  
إلى الزراية.

إن من لم تكن أمينة على دينها لن يتضرر منها إلا الشر والخيانة  
لأسرتها ووطنها ، مثلها في ذلك مثل الرجال رق دينهم : فلما مارسوا  
الشؤون العامة مالئين الدنيا صجباً بدعوى إخلاصهم ووطنيتهم ، كان  
بلاد الأوطان منهم وحدهم إذ كانوا لا يخافون الله ولا يرعنون لدين عهداً  
ولا لضمير حرمة ، فانطلقوا يشحون الأرض خسفاً وكسفاً ونهباً  
وسلباً واحتكاراً وغلاةً وإهداراً للكرامات والقيم وتضييقاً للامانات  
والحقوق . وبذلك ضربوا أسوأ الأمثال وأظهروا وطنهم بشر  
المظاهر ... ومن مات وازعه الديني ونسى يوم الحساب فلن يرده عن  
طغيانه رادع من الناس ولا رقيب .

وأنا على يقين من أن أمهاهم مسؤولات - إلى حد بعيد - عن  
هذا الخزي الذي ارتطموا فيه ، إذ أهملن فيهم تربية الواجب وإحياء  
الضمير وإشعارهم خوف الله والحساب . لقد حرمنهم النشأة الدينية  
الفاصلة فلم يعرفوا الذات ولم يتعبدن ذمتهم وأخلاقهم فقدوا في أنفسهم  
الكرامة الإنسانية ، فلما تغلبوا وسيطروا كانوا فوق الوحش ضراوة  
وشراسة وقسوة قلب ، فعم البلاء البلاد والعباد ...

إلى هذا الحد تبلغ جريمة المرأة الناشئة على غير دين ، وتنظم المصيبة ، وتسفل آثار شرورها في مستقبل الأمة وسلامة المجتمع . فلها إذن آثار بعيدة في السياسة ، وهي تؤدي لوطنهما أعظم الفضل أو تبلغ منه أعظم النكبات ، لا بنفسها مباشرة فقط ، ولكن بنفسها وبما تنشئ عليه أبناءها سياسياً الفد من فضائل أو رذائل ، وبما تناول ضمير الناشي ووازعه الديني من عناية أو إهمال .

• ★ • ★ • ★

ذلك ، وقد أعان على تردي المرأة في المخروج على أنوتها وفطرتها ،  
فريق من أشباه الكتاب حملوا أقلاماً ولم يحملوا إخلاصاً ولا أمانة ولا  
نصحاً . دفعهم الرياء المغشوش على أن يفرقوا في بحث المشتبه الطائشة  
ابتناء العبث بها وبكرامتها ، فحملوها فوق ما تستطيع من السخط على  
الطبيعة التي فيها لكل كائن عمل خاص . وكان حق المرأة على هؤلاء  
أن يأخذوا يدها إلى ما يسعدها من علم وخلق ، وإلى ما يميزها في المجتمع  
سيدة بيت ومربيه أجيال . وكان من حقها أيضاً على من يزعم نصرتها  
أن يمسكها عن أن يهوي بها الطيش في مكان سحيق فتققد مالها من  
حرمة هي ملاك أسرها كله في المجتمع .  
ليتنا في غمرة اليوم نسترشد بتجارب الماضي ونسير غير متخططيين :

بنصر مواطىء أقدامنا وتنقى المزاق، ونجند كلّاً في ميدانه الذي يصلاح له . لقد تداعت علينا الأمم ، وطعم فيما حتى (الصهاينة) من شذاذ الآفاق <sup>(١)</sup> ، وغزينا في أخلاقنا وبلاتنا وأموالنا ... وليس في جهودنا فضل نفقه في رد العابثين عن عبئهم ؛ فليتّق الله حملة الأقلام وليصونوا الشاردات عن القطيع ، وليرجعوا بهن عن طريق وضعنّ أقدامهن في أوله وما آخره إلا مستقبل أسود حalk للأنثى أولًا ، ثم خراب البيوت وهدم الأسر وارتكاس المجتمع وموت كل كرامة امتاز بها الإنسان من دون الحيوانات الدنيا .

وما الانهيارات السريع الذي قضى على بعض دول الغرب العظمى في مثل لمح البصر بسبب فساد المرأة يعيد فيensi . ولنا فيه درس وموعظة وبلاغ .

---

(١) نشر هذا سنة ١٩٤٧ قبل ان ينكب العرب زعماؤهم ورؤساوهم بكارنة فلسطين .

# الفهرس

٣ مقدمة الكتاب

١١ الباب الأول

المرأة العربية في نشأة الإسلام

١٢ الفصل الأول : المرأة الجاهلية

المرأة العربية والرومانية والفارسية - صفات المرأة الجاهلية جملة -

٢١ الفصل الثاني : مظالم الجاهلية للمرأة

تشاؤهم بالأنثى - الوأد - السي - وراثتهم النساء مع الصاع -

حرمانهم إياها الإرث والمر - المضل - الحكم الغالب

٣٠ الفصل الثالث : صنيع الإسلام للمرأة

إبطال المظالم جملة - المعروف والاحسان أساس كل علاقة بين الزوجين

نصيب المرأة في نشر الإسلام - بيعة النساء - استجابة الله شكوى امرأة

٤١ الفصل الرابع : شخصيتها الحقوقية

إنجاز حقوقها بنتا وزوجا وأمّا - ولا يتها على أموالها وعقودها المدنية -

نكسة رجمية حديثة - ولا يتها للقضاء

٤٧ الفصل الخامس : جهاد الرسول في سبيل المرأة

تلطف الرسول في القضاء على النظرة الجاهلية - مسامته أزواجاً

واحتجاج النساء بها - إجراته لمن أحارنه امرأة - شفاعة الرسول

عند جارية - مثل من مكانة المرأة العلية - أقوال كريمة في الوصية

بالمرأة - رقة الرسول للآثار ورفقه بهن - من جوامع كلامه في ذلك

- آخر وصايا الرسول - أثر تعاليمه في تحرير النساء الجليلات

الباب الثاني

٦١ أميات المؤمنين

## ٦٣ الفصل الأول : في أزواجه وسبب تعددهن

خدجية - خدمتها للإسلام في شأته - وفاة الرسول لها بعد موتها - غيرة عائلة من كثرة قنائنه عليها - إكرامه صوابها بعد موتها - سودة - عائلة - حفصة - أم سلمة - زينب بنت خزيمة - جويرية - أم حبيبة - زينب بنت جحش - صفية - ميمونة - مارية - سر هذا التعدد وفائدته للدعوة

## ٧٤ الفصل الثاني : في التشريع الخاص بأمهات المؤمنين

١ - صيانة مقامهن وحرمة ذكراهن بعده - نزول آية الاذن والمحجب  
٢ - حجابهن خارج البيوت ٣ - حدث التخير واختصاصهن دون  
سائر الصحابة بمضاعفة الأجر ٤ - تحريم طلاقهن والزيادة عليهم  
٥ - تقرير اموالهن لامة المسلمين - امهات في التحرير دون المحرمية  
- عظيم حرمتين في نفوس المسلمين على اختلاف مذاهبهم - عقبة  
الشيعة خاصة في امهات المؤمنين

## ٩٠ الفصل الثالث : في إيجال سيرة الرسول معهن

٩٤ الفصل الرابع : في سيرهن بعده وعناء الخلفاء بهن  
عماداتهن - هن والسياسة - في عهد أبي بكر - في عهد عمر -  
تفضيلهن في العطاء - حججهن - في عهد عثمان

## ١٠١ الفصل الخامس : في منزلتهن الاجتماعية ومشاركتهن في الأمور العامة

نشرهن الشريعة - كن مرجع الناس أيام عثمان - وكف مرجع  
ال الخليفة نفسه

مذهب ابن حزم في تفضيلهن على الناس عامة حاشا الانبياء

١٠٨ حاتمة : في بيوتهن وتاريخهن هدمها وبكاء الناس عليها

## ١١٠ ملخص

المراة والسياسة - المرأة والجهاد - خاتمة كتاب ( عائلة والسياسة )